خليـــج الطبـــــالة

روايـــــــة

العربى عبدالوهاب

محافظـــــة الشـــــرقية
الهيئـــة العامــــة لقصـــور الثقافـــة
إقلــيم شـــرق الـــدلتا الثقـــافي

فرع الشرقية الثقافي
سلسلة خيول أدبية

وكما تواعدنا دائما أيها المحبون نلتقي على حب الكلمة وسمو الحرف، ورفعة المعنى، فالأفق هو عالم الإبداع الأكثر انفتاحا وتطلعا لكل ما هو صدق وبهاء، إنه الشاهد على حلم التطلع للضحي الكامن في أعماق أعيننا ونحن نتطلع لرؤية نصيبها أو غاية ننشدها، وبكل ما نملك من رغبات حرة، لا تحدوها المنافع والأهواء والمصالح الخاصة .. إنه الحلم الذي تنشده الفنون، ولاسيما فنون الإبداع الأدبي .. ذلك الأفق الذي نطالع فيه (خيول أدبية) في طرحها الثاني، وهي تركض نحو تأكيد قدرتها على اللحاق بركب السيطرة والانتماء والتفوق، وفي موكب الحق والخير والجمال، ذلك الثراء الفكري والثقافي والإبداعي الذي دعمه، بل واستثمر فيه معالي الوزير المستشار يحي عبد المجيد محافظ الشرقية، ليكتمل البهاء والاستمرار، وفاء بوعد النبلاء في احتضان أدباء وشعراء هذه المحافظة الثرية والخصبة في شتي المجالات والفنون، إنه حرث الفنان / أحمد نوار، الذي ولي وجهه شطر أصحاب الفكر بالقلم، أو بالفرشاة سواء ليؤكد أنه الزمن الذي يتحتم علينا فيه أن نؤكد - بما في الفنون من لغة مؤثرة - على ضرورة النظرة بإنسانية إلي العالم، لنتمكن من الانتماء .. بل والتماهي فيه .. مدعوما بورود الشاعر الأرقي مصطفي السعدني الذي يضفي على المشهد الإبداعي بهذا الإقليم الخصب جمالا مضافا، باقترابه المقترن بالرعاية، وحرصه الدائم على اكتمال البهاء.

والله الموفق

الفنان / محمد الشاعر
مدير عام ثقافة الشرقية

الإهداء

ليس بالطبع للقادمين من الأحراش ..
الذين يسعون بجدية واضحة إلى تقويض الحدود .
لكن يمكن أن نهدى للمبروكة أم قورة بيضاء عمرنا ،
فبسحرها نذهب إلى المحيط ، و من أجل طلعتها البهية
نغرق ؛ ومن أجل "طاروط " الطفولة والهوية، أكتب .

العربى

ذكْرُ ما جاءنا من أمر الجاموسة الطائشة

بكـــة الدم

[لما الزناتى وقع ، وأبو زيد طلع سكه
لأدهم قعد ع الدكه
يتحكى
ويحك جرح الزمن
حكه .. ورا حكه]
حكاية عروسة البحر

حجـاج البـاى

اختفـــــــاء

الكلب عاد من هناك يحجل بساقه الخلفية المعلقة كذبيحة . ربما انكسرت بفعل ضغط أقدامهم بغل شديد على رأسه مخافة انكشاف أمرهم ، ولما لاحقهم ضربوه بعصيهم على ساقه بعد عودته مسحتُ على رأسه ،واحتضنته .. نبح بعواء منكسر .وظل يحجل أمامى ويستند برأسه على الجدار ، برغم ألمه كان يسحبنى باتجاه الخليج يشد طرف جلبابى بين أسنانه حتى لا أنفلت منه كما انفلتوا منه فرادى عائدين من طريق الرشاح آخذين خليج الطبالة فى استدارته حتى شارع داير الناحية .. بعد سؤالهم "لحفيظة السماك " الذى أقسم بالطلاق أنه لم ير شيئا ، ولم يمر عليه أحد بتاتا هذه الليلة : يعنى أكفر يا ناس .

كنا شايفين ضلهم ع الرشاح يا حفيظة .. وأنت قلت روحوا لى جاى .. سمعناك يا حفظة ، وبأعلى ما ف عزمنا ، قلنا : جيتك يا واد .. جيتك"

لكنه أشاح بيده وهبط مسرعا إلى قاع الرشاح كى يجذب شبكته المزدحمة بالأسماك ورائحة الطعْم النَّتِن كانت تتسرب للأنوف .

فيما بعد

عرفنا أن خاله سماعين الجمل صفعه على وجهه بثقل يده المرزبة : يا ابن الكلب تكشف سر خالك

وجم حفيظة عند كشف اللثام ؛ ووضوح وجه خاله بعينيه الناريتين .

تقول الناس إن وجه حفيظة تلك الليلة كان أحمر ، نحادثه فيرتجف ويهبط تجاه الشبكة ثم ينظر إلى السماء يقولون :ألم تقل :" جيتك يا وله ".. الجاموسة أهى ؟ .

وينكر حفيظة ؛

ليلتها تركنى الكلب وانشغلت عنه باللعب مع العيال ..
ليلتها كان الرعب يترصدنى منذ صحوت على صرخة أمى وأبى العائد من دورة المياه يستند على الحائط ولمبة الجاز "تُوَجوج"؛ حين صاحت أختى الرضيعة واخترق صراخ أمى هجعة "طاروط" ، أفقنا من نومنا وتجمعنا أمام الدار ، استباحت الناس دارنا عبر "النقب" الصغير الذى حفره اللصوص فى "المندرة" .

ليلتها عدت مع العيال وراء شباب ورجال ونساء وعيال طاروط كان القمر يبربش بعين واحدة .

مازال الكلب يجذبنى فأتبعه ويتبعنا عمى ثم ينضم له صاحباه .

كانت ساقه المكسورة ، تهتز مع مشيته الوئيدة ، هدَّنى التعب ، والتفتُ خلفى لكن عمى لكزنى فى كتفى فنظرت أمامى وواصلت السير وراء الكلب ولم يتوقف إلا بانقطاع آثار الأقدام .

على مرمى العين بدت دور عزبة "ادوار" المتناثرة (حبات) فضية ، يغلفها ضباب خفيف تخلله أشعة الشمس الوليدة التى تداعب أعيننا . أشار صاحب عمى بإصبعه تجاه العزبة وقال : الجاموسة هنا . هز عمى رأسه آسفا ثم انحنى على الكلب ، ومسح رأسه ولاطفه ثم انحنى أكثر وأكثر .. تحسس ساقه المعلقة وباس رأسه.

كانوا بعد خمسين متر تقريبا سيصلون إلى خليج " الطبالة" ، كانوا ينهبون الأرض وبكل قوة يجرها أحدهم من خطامها . ويدفعها الآخرون من الخلف دفعا وضربا ؛ تترامى إلى أسماعهم بعض الأصوات التى تنم عن موكب صغير يتحرك من أهل البلد ، مما أثار القلق والارتعاش بأوصالهم و ساعد أحدهم على إصدار أمره " افتح خطوتك .. يا ابن العبيطة "على الآخر الخليج قرّب يا " وَلا" .. .. واخترقت الكلمات أذنى زاهر بن سلامة اللحاد المشدود إلى الأوتاد فى محبسه منذ عصر أمس بزريبة الحاج أبو شامية (المقابلة للخليج من الجهة الأخرى)

كان زاهر وقتئذ تتقاذفه عواصف القلق وصلف أبى شامية وغل قديم أسود لن تزحزحه أيام العمدة ؛ لأنها مرت كالطيف

، وتركت ساقين مكبلتين طوال ليلة أمس من يساعدها الآن كي تصل بالكاد إلى مدافن البلدة ، ليعلن بأن زاهر ابن سلامة اللحاد قتل أو اغتصب أو مات ، وهو الآن محمول فوق ساقين أصابهما العرج مدى الحياة .

أبو شامية والعمدة الصغير والكبراء أفاقوا مارد القهر من غيبوبته بقوة .. هاهم يتبخترون كطواويس .بأقدامهم الثقيلة يهرسون عظامنا دونما يرتجف لهم جفن .. . أنت من صدقت شعارات العمدة الكبير حين رأيت الأجراء يتملكون الأرض .. وحين دخلت المدرسة بالمجان ، ظن أبوك اللحاد أن هامتك ستطال هامة النخيل ؛ ظن - الواهم - أن للنخيل ظلا ، سوف يستظل به ، في آخر أيامه . راح اللحاد بظنونه الحالمة ؛ كيف يا طاروط تفتكين بالأحياء بكل هذا الجبروت !!

أليس من حقي أن أتزوج ممن أحب سواء كانت بنت الأجراء أو بنت العمدة ؟! ، ألم يعلمونا في المدارس أن الزمان تغير ؟! ، هي من هفا القلب إلى محياها وحلقت بنا الحياة فركبنا قواديسها .. في الأتوبيس الدائري الأصفر.. أدفع لها تذكرة الذهاب ، وفي شوارعك يا زقازيق نسير، نتبادل دفء الأصابع ، قشعريرة القلب .نهدي الحلم للريح وللوجوه الغريبة ؛ لم أعلم بأن " طاروط " في الخفاء تتربص بطائرين صغيرين لما يبزغ لهما جناحان . وسوف تمد منقارها الحاد ، في عصر يوم ،كالأمس ، لتنتزع زغب الحب النابت في القلب "وتنتفه" ريشة ريشة .

كان يظن أن قيده لي في الزريبة ، مشدودا إلى الحبال كبهيمة ، سوف يفت في عضدي .. ليس الخوف يا كبير طاروط ، هو قاتلي .بل نظرة آمال حين طلت على بوجهها المتورم. كأنما أصابها داء إثر اقترانها بي ، داء لا فكاك منه إلا بالموت .. هي قاتلتي .

حين لامست بشفتيها قدمي ، وأنا مشدود إلى الأوتاد ، أحسستُ قدمي بدمعتها الساخنة ، دمعتها هي آخر ما لامسني ورجاءها لي " أبويا هيقتلك " ... " متخافيش " ، الخوف غول مرعب مستقر في قعر عينيها .. زاهر وآمال ..

في فضاء الزقازيق .نحلم بالبيت الصغير والعيال .. والآن

..نحن مقيدون ومشدودون إلى الأوتاد
جَرْحُنا يا آمال لن تدفنه طاروط تحت وحلها
ولن أنسى تلك الليلة ما حييت . دمعتك الدافئة .. سرعان ما ابتردت ، برودتها حارقة ، توخز القلب، كأنها تسقط الآن .. وكل آن .
لماذا تتفجرين يا طاروط ككرة النار فى حلقى ؟ !!

❖ ❖ ❖

كان الفجر ، يتهادى كموج ناعس .. لا يحفل بى ، يحمل رسوما ملفوفة على الورق ، ومختومة بالشمع ، خطتها يد الشيخ " نبوى ترًا " صاحب الأحجبة - "والعمولات" - والقرابين المشوية من لحوم أنواع متباينة من الطيور ؛ ومن أكباد حيوانات تعيش فى حظائر وأخرى فى الصحراء والكهوف .. بخور وشهقات وعطس .. وانحناء قليل فى الظهر ، ويميل ووجهه يميل إلى الأمام - مطلا - على جمرات حمراء .. ثم يعتدل للوراء بعد تأمل طويل مدققا فى أعين القادمين ..
تلك المبالغات هى البوابة السحرية لفض الغلالة الكثيفة لاضطراب الحياة خارج الدار - المعروفة جداً - "بطاروط"..
تقف الدار الطينية الواطئة والمشدودة إلى بطن القرية بصلابة منذ أمد بعيد .
يغفو نبوى ترا بعضاً من الوقت بإقفال عين وفتح الأخرى كذئب .. انطفأت لمبة الجاز السهارى وهو الآن فى فراشه قرير العين يحصى غنائمه .. يتعرى بشبق مجنون فى حضن امرأته التى تكافئه على مهارته ، ونجابته .. فى جمع كل تلك اللحوم والأحلام والأوهام .. ليجعلهم وليمة لحفرته المحتشدة بجمرات حمراء كقميصها المتقد" . لم تكن الكهرباء قد وصلت إلى دارنا ؛ ولو وصلت وعبرته ما أعارها بالا .

❖ ❖ ❖

" النهار لم يعلن عن نفسه بوضوح ، تخبُّ قدما ابن اللحاد فى تراب طاروط حيث الشوارع متعرجة ، تنفتح على حارات ضيقة .. تتلاصق دورها القديمة كأنما تحتمى - بتلاصقها - من السقوط .. تفر القطط .. تنبح الكلاب السوداء منذ أول الليل متشاحنة . الغبار يتكاثف على صدره ، وعلى

سلسلة الحديد المعلقة بقفلها فى دوار العمدة ، مُكَبلَةً الباب الواقف فى شموخ .. رغم أنه لم يزيَّق منذ زمن .. آلام قديمة تفر منها الروح .. لما أصاب أهل طاروط العلم وراجعتهم روح الفكاهة ، أطلقوا عليه التليفون - تلك حكاية قديمة - بانتقال التليفون تنتقل العمودية - إذا جاز لها حق الانتقال - المعروف أن الدوار القديم أحيل إلى الاستيداع مع عمدته الكبير .

المعروف أيضاً أن العمدة الكبير اتخذ من الدوار القديم ذى الباب الخشبى العتيق مقراً " للعمودية " بسبب اتساع الحجرات والتليفون الملحق به.. والصرخات المرعوبة وولولة الفلاحات أمام الدوار وقذف العيال بالطوب للخفراء ذلك زمن عبر بكل عنفه ورحابته .. آلامه وانكساراته .. زهوه وشموخه.

البيت الجديد متعدد الطوابق .. من أول بيوت طاروط التى بنيت من الحجر .. لا من الطين . كبقية دور القرية ، بناه العمدة الصغير بنفسه.. ثم بنى الحاج عبد الرحمن أبو شامية وسالم الحمَّار ابن الشيخ سليم ثم السيد أبو عبد العزيز وبعض أكابر طاروط بيوتهم الحجرية تقليداً لبيت العمدة الحالي / الصغير .. الذى لا يضاهيه بيت - ومن يقدر على التحدث عن داره أو ماشيته أو غيطانه من أكابر القوم فى مجلس العمدة - تتنوع ألوانه بين الفوشيا والأخضر الصارخ .. يصعد القادمون عدة سلالم رخامية باردة ، وإذا تلفت ، يرى عن يمينه جنينة متنوعة الزهور تزكم الأنوف بروائحها ، منسقة على شكل الحدائق العريقة لبعض السرايات ..

لا أعرف - كما لا يعرف أحد - أين يقع السلاحليك الجديد .. داخل هذا البناء .. فالدوار القديم كان معروفاً بتفاصيله الدقيقة ، وكثيراً ما تتردد عنه نوادر الحكايات

قيل بأن " الصغير" لقب اختاره العمدة لنفسه للتفرقة بينه وبين" الكبير" (ربما لقصر طوله ونحافته ، ورأسه الصلعاء) .. وأن صلة قرابة تربطه بالعمدة الكبير وأنه شيَّد البيت الجديد ، ولونه بتلك الألوان جذباً للأبصار ولتخلب الألباب .

- عافاه الله - هو من أعلن هدم الدوار القديم .

وقال المقربون إنه لا يطيق أن يرى ذبابة ترش بالجاز - فلم

يكن وقتها قد ظهر البيروسول والكفرسول وكل عائلة سول - أو يرى صرصارا يفرك بقدم.. قيل تميع نفسه كامرأة حامل إذا رأى العيال يتقاذفون الفئران ممسكين بأذيالها ، يخبطون بعضهم ، فيقشعر بدنه . وأنه أفاق ذات صباح - وكان قد نام بعد تعب بحضن "زوجته" الصغيرة - فطلب المفسرين . وقص حلمه (لهم).. فقالوا بصوت هامس يشوش: [سوف تنال ألقابا ما بعدها ألقاب .. وتعيش عمرا مديدا] . لما سأل عن بعض ألقابه ومعانيها قالوا بعد تداول النظرات وحساب التكهنات وإعادة وزن الأمور حسب الواجب والممكن ، وبعد ضرب الأخماس فى الأسداس .. والاستعانة ببركات سيدى أبى منصور : من ألقابك العظيمة . الفاتح .. والمؤمن .. والثعلب .. ورب العائلة الطاروطية .. و ....

قال : كفى . ثم دخل فى شروده وأطال حتى تلبس الخوف أظافر أقدامهم

❖ ❖ ❖

[أنا قلبى كورة والفراودة أكم
ياما اتنطح وانشاط وياما اتعكم
واقول له كله ينتهى فى الميعاد
يقول بساعتك ولا ساعة الحكم]

❖ ❖ ❖

عندما حط الحزن على قلوبهم . كانوا ينظرون بين الحين والآخر لأبى الذى استكان لخيبة مساعيهم . وقال لنفسه أقعدتنى الدمامل وساقى متورمة .. ولم يتمكن أحد من اللحاق بهم .. إن كانت تلك مشيئتك فلا راد لقضائك.. وإن كان اختبارا فأنا بالصبر أولى .. يارب لك وحدك أشكو ضعفى وهوانى على اللصوص ...

كان " صديق " ابن شيخ الخفراء ، يشرب الشاى الذى أعدته أمى للرجال العائدين مع أول شعاع للشمس بدون الجاموسة وهو ناظر لأول النهار " يا الله .. كم أنت رحيم بنا ، إذ ألهمتنا الدروب التى قطعناها خلال مشاوير بحثنا عنها ، إذ

أمتّنا من أجلها ، هى بركتنا ، تعويذة العشق فى قلوبنا ، الشيخ نبوى يشهد بذلك ، وتشهد علينا أرجلنا حيث مشت إليها وسط أوحال وحفر ؛ وهو لم يزل يلف لنا "العمولات" ويربط لنا الأحجبة .. يحشوها بحبات الذرة والمستكة ، وبذور السفرجل والفلفل وبعر الماعز .. خطوط سوداء متشابكة ، قد رُسمت على أوراق مطوية ، تنام فى حضن الحبات ، تنغلق عليها أقمشة غريبة .. يعلقها بصدورنا .. تنام تحت المخدات .. تستحم بها النساء قبيل المضاجعة ، فتأتى العيال بعد تسعة أشهر بالتمام والكمال والقمر فى بهائه ، عيال عُراة ، حُفاة ، عيال نائمون .. طائشون .. مستكينون .. قتلة .. مطاردون .. وخونة .

كم أنت لطيف بعبادك يا رب العباد

إذ ألهمتهم محبة ناقة صالح وهدهد سليمان وحوت يونس وعجل موسى وجاموسة طاروط ، هى سُرَّة الكون ، ومهبط وداعته .. محط أنظاره ومهبط وحيه الجديد .

❖ ❖ ❖

فى ذلك الصباح انحنى المأمور متقزماً حتى صار بحجم "النقب" ، عبره مرة ومرة ثم ضرب كفاً بكف لغياب شيخ الخفراء . رد عبد الله العطار والقمحاوى عن شيخ الخفراء غيبته .. ذلك الصباح عادت أمى من دوَّار العمدة الكبير ، بعدما أقسمت للمأمور عند " أخذ سؤالها " بأنها : تستطيع استخراج الجاموسة ولو كانت بين مائة جاموسة أخرى .

❖ ❖ ❖

*** شائعات**

(١) سماعين الجمل يعشق زوجة العمدة ، و يسرق الجاموسة بغرض إزاحته من العمودية .

(٢) محمد أبو عابد شيخ الخفراء شُل الدليل .

[أجب عن هذا السؤال]

لماذا لم يخرج أبو عابد من داره منذ سرقة الجاموسة؟

(٣) فتحى الأقرع منذ حط بطاروط ويده طويلة ، ويعمل

لحساب الغرابوة ؟؟!!!

(٤) عبد الحليم باشا يتصل بأولاد الليل . ألم يكن أبوه شيخ منسر .، معم ؟؟

(٥) أبو شنب وعبد الحليم باشا وفتحى الأقرع . لوحظ سيرهم عند الرشاح قبيل المغيب.

(٦) فلفل شقيق أبو شنب - ولدى فايزة أم هاشم - رفت من الجيش لسوء السلوك .

(٧) الشيخ عبده سيموت كمداً ، بسبب سرقة جاموسته أم قورة بيضاء .

إذن لماذا لم يخرج - حتى الآن - من داره ؟

(لله فى خلقه شئون)

(يلعن أبوها بلد ...)

❖ ❖

عندما سمعت أمى خبطا على الباب .. نهضت من وسط الدار وأطلقت ذكر البط فتحرك على مهل إلى عابرا باب الوسط الخشبى

ثم قالت :

- مين ؟

- أنا سماعين الجمل ..

- ادخل يا عم سماعين .

تلفت حواليه وقال :

- املى القلة .

- املى .

- الشيخ فين .يا أم وحيد ؟؟

- مريح شوية .

- تعبان لا سمح الله ؟

- طالع له خُراج فى فخده .

هز رأسه وتلصصت عيناه على باب الوسط .

وأضافت كان يتبرم منذ الدخول .. خفير تندب فى عينه رصاصة .. أدار الطلمبة - وسط الدار - ارتوى ، ثم حمل القلة وسأل عن الشيخ وعن الجاموسة وأحوالها فى الصيف الحار ولما لم يجد إجابة شافية انصرف .

فى اليوم التالى .
أمسك كوب الشاى الساخن وقعد وسط الدار مع زوجى الشيخ عبده .. ضربتْ عيناه على باب الوسط وثرثر رغم تعب الشيخ ، عن الأرض والزمن ، ثم مصاعب العمل كخفير ، وتعطل أشغاله . يقول : لولا وقعتى الغبرا فى شغلانة الخفارة كنت عرفت أراعى .. الأرض كويس .. الأرض والحمد لله تكفى وزيادة .
يهز زوجى رأسه ، ويدعو له العون .
"فككت المعزة من المربط ، ودخلتها الشونة خوفا عليها من حرارة الشمس.
فتحت باب الوسط .. فإذا بالجاموسة عندما رأتها أطلقت نعيرا هادئا .. قالت لها : جعانة .. هزت ذيلها وتبعتها برأسها وقورتها البيضاء ..
[أطلقت أمى آهة متحسرة ، ولم أنس الدموع حين لمعت بعينيها لدى سماعها ذكر أم قورة بيضاء .. يا الله .. تلك الدموع الغالية لا تهل إلا من أجل الغالية ؛
تكمل أمى للضابط ، واصفة] .
ذات رقبة ممدودة .. إذا سمعت نعيرها لا تفرق بين علوه وانخفاضه .. طلة القمر فى قورتها البيضاء .. سواد الليل من سواد عينها ،ظلف رجلها الورّانية " اليمنى مرفوعا لأعلى كأنه عمود مدقوق.
شغلنى أمر سماعين الجمل .. وسبب شكوك أمى وظنها باشتراكه فى السرقة قلت "كيف يسرق رجل هب واقفا عند سماعة آذان الظهر" جذب حذاءه الميرى ، ثم صافح يد أبى الذى يحاول النهوض ولم يقدر
: متآخذنيش يا عم سماعين .
: ألف سلامة يا شيخ .
أعادت أمى كل هذا على مسامع المأمور.
ترفع وجهى فى تلك الليلة .. ترانى شاردا .. تحتضننى باكية .تظن أن شرودى بسبب الحزن على ضياع الجاموسة
تقول : يرضيك كده يارب ؟!!

❖ ❖

ضباب ثقيل ، يخفى بيوت الطين وبيوتا ذات مقاعد ، وأخرى غائصة تحوط رؤوسها عيدان القش والذرة والقطن النازل على قورة تلك البيوت والناس والحيوانات ، ونداوة الصباح تمنح فراشات الحياة فرصة الانطلاق ، تغزو الذكريات السوداء قلب ابن اللحاد .. يحس بنفسه خفيفا ، طائراً ، بلا معنى ، كأنه مرهون للغموض وللبيوت وشواشى الذرة الخضراء فى الغيطان بوشيشها ، واقفة مهفهفة .. عند المربط والمدود الطينى توقفت قدماه .. ما زال الخص قائما عند رأس الأرض .. عروق الخشب تنز بحبات الندى" أترى الخص حزينا ، يدمع ! لمن يدمع الخص. للجاموسة أم للشيخ" .. وخزه السؤال ؛ أسرقت الجاموسة ، أم اختفت ؟؟"

قال : تظهر .. تختفي .. كما تريد .. لم تعد جاموسة مجردة .. يقولون بأنها بارك الله لنا فيها لم تأكل "طراطيف" الذرة .. لم ينزل من مؤخرتها الروث على التراب .. لم تتلقفه يد النساء كالعادة . لأن " كوانين " الطهى لم تعد مشتعلة ولم تعد " أم قورة " كما ذكرها "النحيلى" ونوّه عنها "الملط" ودار بالحكايات عنها " خليل الشاعر" يقولون : لا تأكل سوى الحشائش النابتة - شيطانى - على حواف الترع والخلجان ، والعلف الصافى بدون "ردة" .. هل هى " عُشر " ؟ أم سرقت لأنها "عِشَار" .. أم لأنى لم أسمع يوما بغيرها حتى الآن .. مات العمدة الكبير منذ أشهر قلائل .. صارت طاروط بلا عمدة لأسابيع.. تختر اللبن الرائب . كما تخثرت الآمال والزروع .

تلك الجاموسة لم تدر فى مدارات السواقى أبداً .. جاموسة ذات مدار واحد إلى الأمام ؛ ذات قورة بيضاء ، حلمات ضرعها ، كل حلمة بحجم رأس الولد "وحيد" - أنا - الذى تمنى أن يضربها يوما "بالفرقلة" حين يفتح أبوه القناية ، على الأرض ويتدفق الماء .. من سحركم بها ؟! العمدة الصغير أم شيخ الخفراء أم شيخ البلد / "محمدى الجزار" . أم" عبد الرحمن أبو شامية" ؟؟!! يا ناس جاموسة لا تأكل البرسيم .. لا تنام سوى واقفة .. لبنها مائل للاحمرار .. لا تنام فى زرائب البهائم المعتادة .. زريبتها أسمنتية ذات فتحة للصرف تصل إلى "مجرور" . قبل أن يقدم الفلاحون على تحويل زرائبهم إلى الاسمنت ، بسنوات .

وسنوات ـ وقيل : تلك نصيحة الأشقر للشيخ حتى ترتاح .. سوق الأربعاء فيه البهائم كثيرة لماذا يا شيخ عبده تشترى من "الأشقر السمسار" بسوق الأربعاء جاموسة كتلك ؟ لما استغرب الشيخ وسأل عن سر الزريبة والصرف قيل:حتى لا تنقل الأمراض .. لبنها صحى للرضيع وظلفها العمودى ؛ متعامد على مدار السرطان ، تلك حسابات للنجوم لا يعرفها سوى الشيخ "نبوي ترًا" ولم يسأل أبى ؛ فقد كان الحر قائظا والأشقر متعجلا ، متأففا ، والعرق يجعل المحتاج راضيا ولو بجاموسة عرجاء ، إذا توافرت النية الحسنة والاتكال على الله وعلى الرزق الحلال . كان على الجاموسة أن تحضر إلى طاروط ، وأن يسأل كل عابر مأخوذ بجمالها ، عن السعر ، و عن نصائح الأشقر ، والعرق الذى ينز من الأجساد فى قيظ يوليه ، جعل أم قورة بيضاء تنهب الطريق سعيا نحو الدار والظل .

❖ ❖ ❖

لما شرب المأمور الشاى بدوار العمدة ، وبحث فى سجلات القرية وجد أن حالات السرقة كثرت ، وخاصة سرقة البهائم .. كان يتأمل طرائق السرقة التى تشير بقوة إلى لصوص بأعينهم .. ووسائل ثابتة بما يعنى الدربة والتمرس ، فى السرقة ؛ وعن توزيع الخفراء وسبب غياب "سماعين الجمل" أثناء الصافرة (كان أبى قد أبلغ العطار النائم المسترخى فى داره بسرقة الجاموسة ، فخبط بيديه على ساقيه المرتجفتين وطلع يعاين النقب بلباسه الداخلى.. كان أبى يتحامل على الحيطان فالجرح لم يندمل بعد والدمامل استوطنت ساق أبى) ولم يستبعد المأمور فتحى الأقرع - عن دائرة الاتهام - لتشريفه المركز منذ أيام .

كما لم يستبعد موضوع العمودية الأخير والصراع مع آل عزبة الغربى الذى كاد أن يؤدى إلى جرائم قتل أحيانا ، وسرقة وتسمم .....إلخ

كانت التحريات تشير إلى وصول " عوض جزر " قاتل "شلشلمون" المحترف ، لذلك لابد أن ينظر للموضوع له على مستويين .

الأول سرقة عادية نفذها ـ كالعادة ـ أولاد الليل

ثانيا - إمكانية ارتباط السرقة بالتحولات الحادثة مؤخرا بالقرية وتولى العمدة الصغيرة بدلا من مرشح عزبة الغربى .. واقتراب إحالة " أبو عابد " شيخ الخفراء للمعاش .

مع الأخذ فى الاعتبار بأمر المشتبه فيهم "كمسلم أو عويضه "سائق الجرار وابن عزبة الغربى ، وجار الشيخ عبده ، وحفيظة السماك .

أحس العمدة أن الشائعات أثرت على تقدير المأمور للأمر .

وتفكير المأمور بصوت عال مع الضابط لم يضف سوى احتمالات كانت تلقى بتبعاتها على العمدة وتعبر عن تقصيره الواضح فى العمل

هز العمدة رأسه وقال لنفسه للانتخابات حسابات أخرى .

❖ ❖ ❖

قال زاهر ابن "سلامة اللحاد" والدور نائمة فى ذلك الصباح..

أمس كان خليج الطبالة غامضاً كأنه تواطأ مع أبى شامية والمأذون علىَّ .وجعلنى أحمل طبلتى وأدور مع الطبالين بطاروط أجمع الحبوب فى مواسم الحصاد ، أركب حمارة عرجاء بمساعدة أبى سلامة اللحاد فى جمع العوايد ، أقود فريقاً يهش الثعابين والحيات الرابضة بالحلفاء .. كان القمر فرخا صغيرا يرقبنا ولم أفطن إلى الأسماك التى اقتربت من سطح الماء تتسمع النقر . لم ألحظ أن الثعابين طلعت من الحلفاء وزحفت فوق الجسر ؛ حتى أصبحت وجها لوجه ، كنت قائداً للفريق ولم أتمكن من إيقاف طابور الطبالين الذى يتبعنى .

ظهـــــور

ويبقى لنا البحر

[سألت عن البحر : هل تتغير
ألوانه ؟
وعيناك بحر ترامى ، وضاعت
حدود مداه وشطآنه
نعم يا حبيبي ، يغير ألوانه ويصير
بلون الرماد
له كل طعم ليالي السُهاد .
رمادية كل أسماكه ، ورماد]

نازك الملائكة

محمد الهلباوي نط من فوق الجسر ، خاض فى ماء الخليج حتى وسطه . يداه ارتفعتا عاليا بالتهليل والتحية للمأمور والعساكر والأغراب من خفراء العزب والكفور المجاورة .. بعض خفراء طاروط سائرون فوق الجسر الضيق .. تتزايد الأعداد ، ينضم إلى الزفة كل من يراها .. على يمينهم خليج الطبالة الضيق .وورد النيل على سطح الماء ، وعلى شاطئيه نباتات "فساء العفريت" ، و"النعناع" وشجر "الخروع" ، وحشائش برية أخرى على شاطئيه ، بشكل كثيف ، خانق ، الناظر للماء قد يراها من خلال الفراغات بصعوبة ، حيث يتشابك ورد النيل مع النباتات الأخرى، والحشائش فى حالة تماسك شديد .

يدل الغبار المحيط بالزفة على الأعداد الكبيرة من الفلاحين والفلاحات والعيال الصغيرة فوق أكتاف الأمهات اللاتي يطلقن زغاريد متلاحقة . يزداد المتحلقون التصاقاً مع الوقت بالجاموسة رغبة فى إفساح الطريق للمنضمين الجدد ، أو رغبة فى التقرب والتبرك والتطلع ولو من بعيد للجاموسة أم قورة بيضاء العائدة من عزبة "ادوار" وقت القيالة . يدفعهم الزحام للالتصاق بالعساكر والخفراء ، يقترب أكثر صف العساكر بالمبروكة العائدة المزدانة بعقود الفل والياسمين وزهور أخرى صغيرة وكبيرة برية ، وغير برية ؛ تنمو على شواطئ البحار والخلجان والتُرع وأخرى من "جناين" مُحاطة بصفوف شجر الكافور وأسوار الطين ، تحوم النحلات والدبابير والذباب حول رقبة المبروكة . تهُش أيدي العساكر ما استطاعت هشّه فلا يتغير شيء ، فقط تزداد كثافة الحضور والغبار، والأنفاس تكاد تختنق . كان العصر قد انفلت ، بانفلات المصلين من المساجد .

انفجرت طلقة من بارودة أحد العساكر حين أحس بالاختناق ، وبأن الجاموسة الميروكة التى نجت من الذبح بأعجوبة . كما أشيع ذلك . وسارت من عزبة "إدوار" عبر طرق متعرجة للتضليل ، وفوق حدود فاصلة بين الأراضي والخلجان ؛ أنها على وشك الموت مُختنقة .

الطبالون منذ أول الليل وهم ويشدون "طبلهم" ويعرّضونها لنيران" الكوانين" عن بعد .. يلبسون جلابيبهم التى وضعوها بين المراتب ، فتبدو كأنها مكوية ينزل الشال الأبيض المضفور بنهايته شراشيب معقودة تزين صدر الطبال وترفعه تجاه من قال "شوبش".. شوبش" من المتحلقين والقادمين وقدم " نقوطا" : بعض فتات النقود – وهم فى ازدياد مستمر – تأخر الموكب عند عبور " المشّاية " التى تعبر خليج الطبالة فينحرف يمينا آخذا الطريق المتعامد على مؤخرة طاروط .. نفس الطريق الذي تخرج منه البهائم وقت السحر ، تحت أعين الخفراء وفى ضوء القمر بمعرفة "عبد الحليم باشا " "وسماعين الجمل " "وسالم الحمَّار" .. دار همس بنفس المعنى وتقاربت خيوطه ، فتحول الهمس المريب من قطط تموء فى أزقة طاروط إلى جمل كبير يعبر متمهلا أمام دوار العمدة .

نطق محمد الهلباوي بصوته الجهوري .

: يا بلد .. اصحي يا بلد .

الجاموسة رجعت.. يا بلد نايمة

"نبوية العمشه" تركت منذ قليل تنقية حب القمح مما به من "الغلت" وأطلقت زغاريدها نافخة الحماس فى حلوق الفلاحات بجلابيبهن الواسعة ، المنقوشة بورود كبيرة ، والممزقة من مواضع لا تخدش الحياء ؛ وردت نبوية على نداء الهلباوي .

: يا حلاوة يا أولاد .. يا حلاوة والنبي

الجاموسة الضايعه ترجع !!

يخترق "صديق" ابن شيخ الخفراء بعوده الفارع وضحكته الصافية ، الدائرة المشكلة من الخفراء وعساكر المركز حول الجاموسة ، تمتد يده كي تلمسها وتصدق أن ما سمعه فى حجرة فتحى الأقرع- بجوار الجامع الكبير- مع أولاد الليل حقيقة ، وثورته فى وجه أبيه كانت ضرورية ، وأن الجاموسة حلت ببركتها وعادت ، يا ناس .

❖ ❖ ❖

بين النهار العائد إلى صدر أمه ، وظلمة الليل الوليد ، بدا توتر الموقف واضحاً فى نبرات الدكتور " زكي" البيطرى العائد منذ أيام ، من بلاد الأعاجم وبدت تعليمات "عطية مخمخ" داهية عائلة الغرابوة وأوامر "علي الأصفر" ومكائد "العم بعرور" التى لا تنفد ؛ واجبة النفاذ .

لذلك جاء اللقاء تحت كوبري الرشّاح ، فى غبش المغرب يحمل ضبابية ملغزة..عن البيضة التى حان أوان فقسها ، ورغم اندهاش "أبو شنب" إلا أن الأقرع كان يبتسم خفية من آن لآخر وعبد الحليم باشا يحتاط بوعود الغرابوة من غدر الأيام .

❖ ❖ ❖

فى اليوم التالى لسرقة الجاموسة ؛

حاول ابن اللحاد أن يخلد فى النوم إلى الأبد ، لم يتمكن من إفاقته سوى صديق طفولته " صديّق" وبعدها خرجا كعادتهما إلى جهة "طنابيش أبو ليله" حيث تغطى الأشجار المنطقة والطريق الترابى من أمامهما وبجواره النهر الصغير ، الذى يفصل عزبة الغربى عن طاروط ؛ بيد أن الكوبرى الذى أقامه العمدة الصغير منذ سنوات على حسابه الخاص هو الذى ربط بينهما - البلدة والعزبة - وان ظلت الدسائس والشكاوى تصل إلى المسئولين بسبب الصراع على العمودية ورى الأرض

وتحت شجرة السيسبان التى اعتادا الجلوس تحتها منذ كانا صغيرين.. تكلم زاهر بصوت خفيض متقطع وأباح بسره ...منذ محبته الصامتة لآمال ، حتى وصل إلى عقد القران ؛ بمعرفة أمها وخالها فى الزقازيق ؛ إلى أن غاص فى سراديب المرارة.. وسرد انكساره أمام دموع آمال ، ثم كيف رضخ فى النهاية لطلاقها .

وقال صديق بعد خبطه كفا بكف " أنت البنى آدم المتعلم الجامعى تطلقها كده .. إزاى ؟!! .. دنا يا اللى خرجت م الابتدائية ..لو قطع سى أبو شامية من لحمى حته .. حته ..ما

كنت طلقتها طالما بأحبها ويتحبنى .. ولا يدرى "صديق" الذى يحمل قلب أسد أن زاهر أضمر حربا من نوع جديد ضد كل الظروف التى جعلت منه إنسانا هزيلا ، ضعيفا ... المال والأرض هما الحصن الذى توارى وراءه الحاج أبو شامية وبنفس السلاح قهره من داخله .. ليس الخوف يا صديق إنما النظرة الدونية للحداد وللطبالين والحلاقين وال.. الأرض والطين هما الثروة الحقيقية للفلاح طالما تعيش فى الريف .. والعار أن تكون كلافا ، لحادا ؛ تابعا .بلا أملاك فى عصر العمدة الصغير ومن يليه ، الدنيا طوال عمرها لا تحفل بأمثالنا يا "صديق" كيف تحس بذلك ؟؟! وأبوك شيخ الخفراء صاحب أرض ودارين .. الدموع تحجرت يا صديق .. أعلم أنك لم تتعامل معى بهذا المنطق أبدا . وربما كل الفقراء أمثالى يحسنون الظن بالسادة فى هذا الموضوع .. أنا رأيت الحقيقة عارية وفجة فى عيون الحاج والكلاف معا .

وهما فى طريق العودة تذكر زاهر كلمة " يا ابن العبيطة " وأخذها صديق فى باله وأخذ يستعرض أهل طاروط ، ويخمن من يكون قائلها ؛ ربما يصل لمعرفة أحدهم . كان صديق يتمتع بفطنة الريفى البكر بحق ، لكن أباه شيخ الخفراء بمجرد أن وجده رسب فى مادة الحساب فى الابتدائية ، أخرجه من المدارس . كان عليه أن يستعيد العام الدراسى بأكمله (فلم تكن الملاحق قد ظهرت بعد ، كان النجاح يجئ إما بضربة معلم "ينحت الكتب نحتا " وأى خطأ واحد ، كاف للخروج من حلبة السباق عاما كاملا . لذلك فضل محمد أبو عابد أن يرعى ابنه أملاك أبيه ، ويساعده ؛ فالأخ الأكبر كثيرا ما يكون مضطرا للقيام بدور الأب القادم مبكرا وعندما رفع صديق يده لزاهر مودعا .. وسار زاهر نحو بيتهم بخطوتين . التفت ثانية لصديق ، ثم ألقى قراره كالقنبلة فى وجه صاحبه " أنا نويت .. أسافر " ولما توقف صديق وهم أن يتكلم ؛ انسحب زاهر كعادته قائلا " أنا بأفكر لسه فى الموضوع .. مع السلامة" .

❖ ❖ ❖

كالعادة دوما كانت الحكايات تنساب من بين شفتى أمى كشلال ماء يغمر أخطاءنا الصغيرة ويغلفها بمسحة الحكمة التى أستحلبها الآن .

قالت وهى تمسك بيدى ، فى إحدى الليالى السامرة ، حيث كنا نلتف حولها التفاف الكتاكيت تحت جناحيها الدافئين ؛ ونطوف سائلين عن ناس البلدة ، هذا القعيد أمام داره ، وهذه روايح السوداء ، وزوجها الضرير وعن غياب أبى . حيث كان فى سنوات عمله الأولى بالأوقاف ، يعمل فى مسجد بإمبابة . عندئذ ترفرف أمى بجناحيها فيدخل هواء الحكايات لدارنا التى توقفت الكهرباء عند رأس شارعها ، وغطى جبينها قش الأرز وحطب الذرة مع حطب القطن مخافة شمس يوليو

وحكت لنا عن نوادر "خليل الشاعر ؛ والعم حسنى ، وجلسات المصطبة عنده .. وسالم الحمّار وعند سالم بالذات توقف الكلام فى حلقها ، كالتى تذكرت تاريخا من الألم

[سالم ابن الشيخ سليم]

سالم الحمّار - كما يطلق عليه آل طاروط - كان أبوه جزاراً؛ كان يقيم ليالي الأذكار فى حب النبى .. وفى حب أهل الله .. ليلة عاشوراء وليلة القدر وليلة مولد النبى وليلة خاصة لسيدي أبي منصور صاحب المقام والجميزة أمام المدرسة الإعدادية

يصطف الرجال على صفين وتحت أقدامهم الحصر ممدودة فوق تراب الشارع وفوق الكنبتين البلدى اللتين غطاهما بالأكلمة يتمايل المنشد وترد عليه الجوقة وتتسحب أنغام الذكر هادئة .. الرجال يشربون الينسون والقرفة وأحيانا الشاي والقهوة لمن يطلبها .. " أذكر تطوح الرجال ذات اليمين وذات اليسار ، داخلين في فضاء التجلي ورويدا .. رويدا ينز العرق من أجسادهم .. تتطوح عيدانهم المصوصة .. يتبادل المنشدون الأدوار فتتنوع الأدعية والإيقاعات حتى تتجمع كماء الجداول عائدة للمصب .. يبدأ المنشد بكل حماس ، يتمايل هادئا وقوراً ثم تأخذه الإيقاع ، فيتسلل صوته إلى قلوبهم وأوصالهم وخلجاتهم حتى ينخز النقطة المسودة بالقلب .. يتوحد فى نغم واحد ، يوحد الواحد (الله حي .. حي .. الله حي ... ...)

إيقاع واحد متكرر تنتظم معه حركة الجسد حتى يسلم قيادة لنقر الدفوف ورويدا .. رويدا تتلاقى حركة الجسد مع رفيف الروح ، يتآلفان في وحدة منغومة متحركة متمايلة بجماعية فريدة ومن مسته يد الجلالة يشتعل حبا لله وللمنشد ولكل الذاكرين .. يرى الدور متلاحمة ، ذاكرة ، شاكرة .. كنا نأخذ نحن العيال طرفا من النغم المسحور ويتمايل البعض منا مقلدين تطوح الرجال فى حركات تمثيلية . وسرعان ما يجرهم أبو زيد وعبد الباسط والأشقياء أمثالي من قفاهم فيسقطون ضاحكين .

نشرب القرفة من "الحلل" بالدار الكبيرة دار الشيخ سليم وراء المسجد الجامع ..

[الله حي .. حي ..الله حي]

ندور البلدة لاعبين ثم نتجمع عند "أبى منصور" حيث الذكر والأجساد التى انتظمها الكون وسط نغماته ووحدهم بالغيطان ، بالبهائم ، بالحشرات الضارة والنافعة . حببهم في كل ما حولهم . شدهم إلى انجذاب النور الرباني وطيرهم في هواء المديح والعشق..ونحن نتسكع فى هواء البلدة والليل . أبدا . لا ينقضى . والكل منجذب ومجذوب

[الله .. حي .. حي .. الله .. حي]

وتمتمت أمى ببقايا كلام عن سالم ...

ثم أشرق وجهها ثانية مع ليالي الشيخ سليم

وقالت : كان يحب أهل الله .. من الله وإلى الله وفي الله ؛

أما سالم فلم يسلم من الشياطين وقلة حيائهم ؛

بدأ سالم بالحيوانات الفطيس متعللا بالسكين الذي بجيبه – دائما – وبوصية الأب.

أراه لم يزل يشد العابرين ويجذبهم إلى ذبيحته المعلقة ، يقسم بالله وبالطلاق في كل وقت وعلى كل تافه.بأنها لحوم عجالى على كيفك

ولم تضف سوى بإيماءة وبقايا حديث عابر:

هكذا كان سالم الحمار .

و أعادت لى حكاية السرقة ، وسالم ، عندما كنت أشد أوتار الكلام :

"خللى بالك من غدر الأيام ، وأولاد الليل .. واوعاك تمشى لوحدك فى خرابة سالم الحمَّار.

❖ ❖ ❖

الساعة كام معاك ؟

: ستة

: اظبط ساعتك

تمتد يد الشيخ محمد النجار _ قُبيل المغيب _ إلى جيب الصديري الأسود اللامع تحت الجلباب ساحباً ساعة جيب بيضاء ذات إطار فضي وسلسلة مُفضضة . يلوح بها فى وجه الواقف أمامه فيقول للشيخ ..

: مبروك الساعة الجديدة

: ابني بحيري اشتراها لي من العراق

: مبروك يا شيخ

ينصرف الواقف ناظراً إلى ساعة يده الجوفيال متسائلاً :

هل الساعة متأخرة فعلا ، ولا يبالي .. فكل الناس تعرف الشيخ . واضح أن مزاجه رائق هذه الأيام عكس الأيام التي يكمن فيها بداره ، ولا يراه أحد حتى " بليلة" و"القمحاوى" صاحباه ..

كان يقول للواحد : صلح العتبة يا ولد

ويقصد الزوجة .

تلك المرة حاول الشيخ " محمد النجار" أن يوقف الدكتور البيطرى ويسأله عن الساعة . إلا أن الأخير أزاحه بطرف حذائه وهو مازال فوق فرسه ، كمن يزيح طوبة تعترض الطريق . هذا أثناء ذهابه للاجتماع العاجل ، أسفل كوبري الرشَّاح ، قبيل المغرب .

ولم يتوقف الشيخ محمد النجار عن الشكوى إلا بعد صلاة العشاء .

❖ ❖ ❖

أن تكون وحدك

ليس معناه أن العالم قد نفد من الناس

هكذا قال ابن اللحاد لصاحبه صدّيق ذات مساء بعيد :

قبيل سفره لبلاد الأعاجم .

❖ ❖ ❖

زحام يمتد ليوم الحشر والموكب يقترب على مهل . بينما عقارب الساعة كان لها حساب آخر .

يزعق المأمور فى العساكر ، بعدما وبخ العسكري الذي أطلق من بارودته طلقة ، قال ولم يسمعه أحد : عنده حق .

"صديق" يحاول ثانية اختراق الأيادي المتشابكة بين العساكر والخفراء ، لجر الجاموسة أو لمسها ثانية ولم يفلح . يشد شال الهلباوي ويدور به حول وسطه عاقدا الشال كراقصة مُدربة ؛ بينما الطبل يدق قادما فوق بطن الطبالين متعلقا بأكتافهم عند ماكينة الطحين . يدور "صديق" راقصا ، تتحوطه الأكف مصفقة .. يشكل الرجال والصبيان من ورائهم دوائر مُتلاحمة ، تشاهد انخراطه فى رقصه البهيج .. تشجعه الزغاريد ، وتتلهف عيون الصبايا الناظرات من بعيد لمرآه .

عند الخص الذي انتصب بارتفاع كافورة ، ومن أمامه امتد مربط "أم قورة بيضاء" على اتساع . ويمكننا القول بلا مبالغة بأنه احتوى كل الحشود . ولم يزل به مكانُ للمبروكة .

قال البعض :مش هو دا خص الشيخ عبده ، مريد الشيخ سيد أبو قورة ؟!. شوف ساع الناس دى كلها إزاى .. ثم انحرف الكلام إلى الأعداد الغفيرة يوم جنازة الشيخ سيد أبو قورة وأنهم كانوا يتوقعون أن يطير بالنعش ولم يطر .. هكذا أسر فى أذن ابنته ليلة رحيله ، انه لن يبق فى قبره على أية حال ؛ ولا يجب أن تطلع إلى المقابر عليه وتقرئ المقرئين وكل من بطاروط يعرف ذلك .

❖ ❖ ❖

واقعة

ذكر "النحيلي" أنه كان ماشياً أثناء الليل المتأخر لعله يتسمع صوت واحدة تتجهز للخبيز فتنادي ابنتها : أغسلي "اللقان" ، أو يتوارد إلى سمعه خشخشة العيدان .. الفجر أوشك على الحضور والنوم جافاه تلك الليلة ، فقام إلى العجين الخامر منذ أول الليل داخل حجرته الوحيدة بدار الحاج "محمد ابن

السيد" الخياط الذي عزل له الحجرة عن داره وجعله يفتحها "بزقة أحمد أبو عطية

قال لنفسه تلك الليلة : قم يا نحيلي العجين خمر وفاض عن (اللجن) النحاسي .قوم يا نحيلى .. العجين خمر ، لولا جريك ورا الحشيش ، والأفيون ، "وسنية نجف ".. ما كانش بقى دا حالك .. خربت يا نحيلى بيتك بايدك ؛ قوم يارجل .

كانت أذنه تتسمع حتى تناهى إليها صوت زعيق امرأة القمحاوى بعيداً وهي تهش النُعاس بعيني ابنتها.

قال النحيلي الخبيز هنا بدار القمحاوى .طرق الباب بالسقاطة الحديد المتدلية ؛

وحكى فيما بعد للناس على مصطبة الهلباوي وأنفاس المعسل طالعة من فمه: "ليلتها شفتها جاية من عند دوار العمدة .. داخلة يمة الجامع الكبير .. وشفت نور نازل من السما زى ما تقولوا كده لقيت جناحين طالعين لها .. وكانت ح تطير .. ساعتها قربت منها ، واحدة واحدة وقلت لها خدينى على طرف جناحك يا مبروكة.. العيال والمرة سابونى .. بقيت لوحدى بأنام لوحدى وأكلم الحيطان .. قربت لحد ما هشت بديلها ومشيت وأنا متسمر فى الأرض زى الوتد .. مش عارف أروح ولا آجى "

وأضاف : بعد خطوتين .. شفتها بعينى اللى ح ياكلهم الدود .. وهى بتجرى بسرعة البرق من قدامى .وكانت بتعلى .. وتعلى لغاية ما طارت فوق دوار العمدة واختفت ، ساعتها وقع (اللجن) بالعجين الخامر من فوق راسى .

سأله أحد المتشككين : أنت مش اديت العجين لمرات القمحاوى ؟.

قال النحيلي مُتضايقاً : يا أخي لميت العجين ، وخبطت تانى على باب القمحاوى .. كان طالع للفجر.

وكان ، ما كان

❖ ❖ ❖

كان صديق قد سمع اللصوص فى "أودة" فتحى الأقرع بجوار الجامع الكبير . قبل عودة أم قورة بيضاء بأيام . وبعدما يئست طاروط كعادتها من رجوع أى بهيمة مسروقة منذ أيام العمدة الكبير ؛ كان صوت فتحى الأقرع واضحا ، وهو يقول

"لازم نخلص منها .. عرفت أن " الظباط فى المركز واخدينها المرة دي بجد بيقولوا إننا زودناها .. لازم ندبحها على العيد الكبير"

قاطعه آخر " يا بن العبيطة طبعا ح نخلص منها ..وبسرعة بسى نديها شوية علشان نلاقى فيها لحمة .. ونعرف نعيد كويس " عند ذلك الحد تأكد أن سماعين الجمل هو القائل الكلمة التى حيرته أيام وليال ؛ وأنه هو الشريك ، وصاحب المصلحة ، فهرع مسرعا ، وأيقظ أباه

❖ ❖ ❖

الأقدام تصعد فوق السلالم الرخامية ، تطرق بوابة العمدة الحديدية . بعدما تعبر بوابة سوداء كبيرة - من الحديد أيضا - تطل على الشارع .

تدق يد عطية مخمخ " سقاطة " الباب ومن ورائه يقف محمدي الجزار الذي جاء - صدفة - بجواره على نفس الدرجة الدكتور زكي متبرماً من ذباب يحوم على وجه الجزار .

يفتح الخفير

تهش يده الكنبات البلدي بمنشة بلاستيكية ، يتطاير الغبار . وتتعدل المساند ..ثم يقعد عطية على كنبة بجواره محمدي الجزار . ينجعص الدكتور بظهره على المسند ، فاردا ساقه اليسرى وثانيا اليمنى كعادته على كنبة أخرى بمفرده يدخل الحاج عبد الرحمن أبو شامية بعد قليل يتبادلون التحية ، يقعد أبو شامية على الكنبة المواجهة لصدر الباب ، تاركا مساحة كافية بينه وبين مكان العمدة الشاغر؛ وخارج الشباك، تحتشد عند حلول المساء الدبابير وأبو دقيق ، معلنين عن رغبتهم فى اختراق السلك ، دون جدوى .

يتطلع الدكتور إلي سقف الحجرة الواسعة ،

تتدلي النجفة علي شكل طبقتين من البللور المتلألئ بأصابع الموز المضيئة ، يعلوها الجبس الأبيض علي شكل فراشة مُحوِّمة توشك علي الانطلاق .

نزلت عين الدكتور علي الحائط الأصفر الباهت المتصل عند منتصفه بدهان بني من الزيت تتوسطه خطوط طولية تتدرج ألوانها من البني القاتم إلي الأصفر الباهت.

كل هذا التسكع بالنظر إلى محتويات الحجرة من كنب وجوزه كبيرة وأخرى صغيرة ذهبية اللون وشيشة ومنقد فضي .

والذباب .

يحاول المروق ،

والعمدة لم يأت،

قال الدكتور لنفسه : الميكانيزم منعدم تماماً . ألوان فجة ، وبيت فج، وسط قرية متباينة المبانى بين الحجر والطين .. بين رجال ونساء نشاز فى نشاز .. No هارمونى .. يبدو أن الحياة هنا تسير مع هذا النشاز فى انسجام غريب .

تأخر العمدة ، فنظر الدكتور فى ساعته ، وإلى عطية مخمخ .. السكينة والكسل يسكنان عيني أبى شامية والجزار

قال الدكتور لنفسه "ربما كان بالمرحاض الإفرنجى .بينما الخفير الكاذب يدعى أن العمدة يصلى .يبدو أنه استراح على قاعدته الناعمة من السيراميك المستورد. كما أخبرنى من قبل ، شاكرا لى هديتى ضاغطا على كتفى دلالة على الرضا، وعلي ذكائي.فقد أحضرت قاعدة السيراميك، ولوازم الحمام الإفرنجى من (بانيو، إلى أحواض، إلى مناشف) ببطن سيارتى الفورد .. ذات مساء متأخر

: السلام عليكم .

توقفت عين الدكتور على الزبيبة السوداء بجبهة العمدة .. آلمه الابتسام الأصفر . رد الجميع السلام بصوت عال مبتسم ما عدا الدكتور الذى هز رأسه .

احتل مكانه الشاغر ، وتنحنح .

دخلت الشيشة للدكتور البيطرى ، بينما توسطت الجوزة الكبيرة الباقين . وذهب الخفير إلى ركن الحجرة الواسعة ، أحضر الجوزة الصغيرة المذهبة اللامعة .. أسلم العمدة خرطومها الرفيع كخرطوم "الأسترة" ، تحسس المبسم .. تأكد أن الخفير غسلها جيدا

قال للحضور : بدلت الغابة بالخرطوم .

عقب الدكتور : وأمتع .

أيقن "عطية مخمخ" أن العمدة أبدل تلك بهذا ، حتى يتسنى

له التلويح بيديه، والتمدد بساقيه، ورفع قامته وخفضها وقت اللزوم وحسبما تتطلب الجلسة ، دونما يسقط الخرطوم من فمه .تتلاعب الصينية بين يدى الخفير الذي يتملى وجه الدكتور البيطرى ، عندما كان يمد يده لأذن فنجان القهوة المضبوطة .

انتشر الدخان الأزرق محلقاً فوق الدخان المتصاعد من شيشة الدكتور . شق صوت "محمدى الجزار" غلالة الدخان .

: الجاموسة فى الطريق يا حضرة العمدة

باقتضاب واصل العمدة سَحْبَ الأنفاس

: عارف ..

تابع الجزار : الجاموسة المسروقة ترجع .. سبحان الله .

تنهد العمدة :أسمع كلامك... .

لم يفطن الجزار - شيخ البلد - إلى تلميح العمدة فى غمرة انشراحه .. وواصل .

: الجاموسة ترجع ..ما حصلتش من أيام العمدة الكبير...

علق عطية مخمخ : كنا صغيرين يا محمدى .

ضحك العمدة : والصغير يكبر .

أمَّن محمدى على كلام العمدة : صدقت يا عمدتنا .

جذب عطية مخمخ طرف الكلام وأداره بدهاء : عندما يكبر .. قد يصبح شيخ بلد أو ابن ليل أو شيخ خفراء أو واحد من أولاد آدم الطيبين .

أحس الجزار بوخز الكلمات فى جنبه .. هو لا يرتاح - أبداً - لعطية مخمخ بينما تطلع أبو شامية لعينى الجزار القلقتين ولم ينطق ..

ضحكات العمدة الصفراء أبانت أسنانه الحادة ، حتى كادت تقضم قلب محمدي الجزار .

❖ ❖ ❖

قال محمدى الجزار لنفسه أثناء عودته من دوار العمدة " حملته فوق كتفى مهللا ، يوم فاز فى الانتخابات ، ولم أكَلْ .. صداقة بطول العمر يا عمدة ؛ أحس بالغمز واللمز فى كلامه . صحيح أننى فقدت معظم ما أملك على مرض ابنتى ولكن أبدا لم أكن طامعا فى شئ سوى البقاء بجواره ربما يكون عطيه مخمخ ؟!! طبعا هم يحاولون استخلاصه من حولنا ليكون لقمة

سائغة لهم .." ولم يدر أن أبو شامية صاحب دور بارز فى تأليب العمدة عليه .

لم يدرك ذلك تماما إلا عندما وجد نفسه وسط اللصوص فى المركز .. يتلقى الإهانات .

❖ ❖ ❖

رغم كل هذا الزحام :

لم يتمكن أحد من إرغام الجاموسة المبروكة على مسايرة الزفة لأنها أخذت تتأمل الخص ذا التعاشيق من شجر الموز والغاب الرفيع والمسامير كأنها ترى الشيخ عبده يفرك العلف بيديه ، يفك التصاق ألواحه الصغيرة .. ترفع رأسها عند "المدود" ناظرة إلى الغيطان وأعالي الخص حيث يتهدل القش على جانبي سطحه تبين رؤوس المسامير ذوات البريمة والصلب ، تدب أرجلها حول المربط تدوس بقايا علف تحلل من صلابته ، أمسى فتاتا جافاً .. تتشممه ثم تلحسه بلسانها المحمر .

: اللهم صلي على النبي .

: الجاموسة مانسيتش الخص .

: الجاموسة بتدور حول المربط .

: الجاموسة جعانة يا ناس ....

: الجاموسة بتنادي ع الشيخ عبده .

: الجاموسة بتضحك .

: وش السعد الجاموسة دى .

: يا بخت الشيخ " عبده " بيها

مئات التساؤلات والاستفسارات والقلق والتعقيب والهمهمات .. العيال تضرب بعضها بعصي صغيرة من الغاب وتدور حول الخص .. تدوس الأقدام المتململة عيدان القمح

فى انتظار حشود راقصة من الكفور والعزب المجاورة أو نهوض الجاموسة من نومتها ، لمواصلة السير .

تدوس أقدام متعجلة - بلا وعي - على الأتومبيل الطينى والمقطورة المشبوكة به بواسطة فلقة غاب رفيعة .. تسقط كومة القش من فوق المقطورة

ويبكي الطفل محاولا حماية لعبه الطينية - بلا جدوى - يلتصق الأوتومبيل والمقطورة والقش بأحذية العساكر والمأمور

والخُفراء والناس الأغراب وخفراء طاروط والفتيان والفلاحين والفلاحات يتحد طين اللعب الصغيرة بالزغاريد المتفجرة من حناجر مبحوحة ، والعرق ينز من الأجساد بقوة الزحام الخانق ، الضمير يتسلل إلى النفوس وينطلق على الألسنة ، يستمر بكاء الرضع رغم بروز صدر الأمهات وراء الخص .

❖ ❖ ❖

واقعـــة

"الملط " من عزبة ادوار .

صاحب الدار التى استقبلت الجاموسة "أم قورة بيضاء"

ليلة مجيئها بصحبة عبد الحليم باشا أبى شافية وفلفل أخيه ، وسماعين الجمل . فتح الملط باباً من وراء باب يفضي إلى "أودة " للخزين بها باباً يُفتح على باب آخر "لأودة" أخرى . لو دخل الغريب وفتح باباً لا يرى الآخر

لذلك يجئ عبد الحليم باشا بما سرق إلى ابن خالته إلى الملط دوما .

بعدما شرب الرجال الشاي المغلي بدار "سيد الملط " تلك الليلة التى جاءوا خلالها بالجاموسة بعد العشاء السريع ، تصاعدت أنفاس المعسل المغموس بالكيف من (النارجيلة)ومن (يافوخ) الحشاشين مخترقة فضاء عزبة "إدوار" .. ملت غابة الجوزة من الدوران وحجارة الكيف الخاوية همدت قليلا ، ثم تسحب الهذر والنزق الصبياني على زير ماء يخر ماءاً وهمياً أو جاموسة ساقطة ببحر "أبو الأخضر" الذي يمر بطاروط وإدوار والمسلمية وميت أبو علي قاطعاً الإسفلت الواصل بين مدينتي الزقازيق وأبو حماد .

عشرة كيلومترات تقريباً هكذا كان يحسب "أبو شنب" المسافة والبلاد القائمة حول البحر العذب أحد فروع بحر مويس الذي يقطع مدينة الزقازيق واصلاً إلى بلاد الله ، خلق الله ولا يعرف أكثر من ذلك

هواء عزبة إدوار فى الليل يدور بالرؤوس التى وزنها الكيف ويدور بالرجال بعد خروجهم متخذين طريقاً آخر للعودة .

أحبّوا كل ما عبرت عليه أقدامهم وأحسّوا أنهم يحبون الدنيا ويرون أن كل ما يحلمون به قد صار موجودا أو سهل المنال .. انزاحت همومهم وراء ظهورهم _ ولو مؤقتا _

فرح فلفل بجاموسة تمد خطمها نحو الماء فى البحر ، فتقافز ناويا إمساك حبلها وسحبها للشيخ عبده

ذكر الملط فيما بعد ، عدتُ تلك الليلة بعدما ودعت الضيوف الأربعة فوجدت امرأتي تحتضن حسن الرضيع [ولدي] تلوى بين ذراعيها .

قالت :ابنك جعان .. واللبن نشف فى صدري ، والجاموسة جات بالخير يا ملط لدارنا .. قوم احلب منها شوية لبن .

قال الملط : عبرت بابا من وراء باب ، بين يدي "مترد" اللبن وهواء الدار الخانق يبعث الضيق فى النفس ، ويسحب النوم نحو المتعبين أمثالي .

قال : هششت مؤخرة الجاموسة ، تحسست "ضرتها" الممتلئة باللبن .

كانت الفرحة تسبقني و"مترد" اللبن ملآن بين يدى أم الولد ، التى رأت - فى ضوء لمبة الجاز - اللبن شرش أحمر

قالت : يا مصيبتي

ترضع ابنك الشرش . اندهشت للون الأحمر .. بعض الوقت ولم أبال ، فقد كان الظلام يستر كل العيوب . قلت ربما ضوء اللمبة . يسحب لون اللبن ويلونه بالاحمرار .(خيالى) كان صافيا ، صدقت نصيحتي لنفسي ، وأرضعت الولد الجائع من لبن الجاموسة .

الصباح التالي : ، قال طبيب الصحة عن الرضيع بأسى حقيقي : نزلة معوية .. يلطف الله

عصر ذلك اليوم لففت الرضيع بالقماش الأبيض وحدي .. وأودعته بجوار جده

❖ ❖ ❖

[بحمد الله ، وبفضله .. رجعت الجاموسة المباركة .. رجعت يا آل طاروط .. هي الآن عند الخص ، فى طريقها إلى البلدة ، من يحب المشاركة فى الزفة فهو آمن .. ومن دق الطبول وعلق الرايات فهو آمن .. من مرت من أمام داره الجاموسة المباركة

فهو مبروك ومبارك ، يباركه سيدي أبو منصور ، وكل أولياء الله الصالحين !

نداء المسجد الجامع .

ولما جن الليل .. والعمدة لم يزل فى شروده مقيما ، تنحنح الحاج أبو شامية واقترب بمقعده - جدا حتى لا مست شفتاه أذن العمدة - كان يعرف اللحظات التى تخترق سهامه رأس وعين من يحاور : يا عمدتنا وتاج رأسنا الغرابوة .. منذ زمن .. نفذوا ملعوبهم فى معركة المشمش .. ولما لقناهم الدرس فى معركة البطيخ أسرّوها فى أنفسهم وتدبروا واستعانوا على غفلتنا - معذرة - بالحيلة فأرسلوا عوض جزر لقتل العمدة الكبير ولما خلصنا منه مهدى الجمل استرحنا إلى حد النوم ، فأرسلوا فتحى الأقرع .. زرعوه بيننا على أنه ابن الكلب ابن أحد كلاب طاروط الذين تركوها فى الظلمة .. وجنابك تعلم بكل صغيرة وكبيرة !عندئذ اعتدل العمدة على مقعده وحاول الخروج من أنفاق الغرابوة بيد أنه سقط على مقعده الأثير محتضنا الجوزة الأثيرة عنده ونام .

❖ ❖ ❖

تم القبض على هؤلاء :

١ - محمدى الجزار شيخ البلد .

٢ - عبد الحليم باشا .

٣ - أبو شنب (ابن فايزة أم هاشم) وأخوه فلفل

٤ - ثلاثة رجال من عزبة إدوار وسيدتين .

٥ - سماعين الجمل عاد من المركز بعد أخذ سؤاله .

❖ ❖ ❖

عودة الجاموسة

! ذكر مصدر مسئول أن جاموسة طاروط عادت سالمة .. بعد رحلة بحث طويلة تكلفت أموالاً طائلة من الجنيهات المعزاوية !
(التفاصيل ص ١٢)

❖ ❖ ❖

تطلع أبو شنب إلى عبد الحليم باشا الواقف بمفرده شارداً .. بعض المحبوسين اللذين لا يعرفهم أبو شنب ، يتقاسمون أنفاس السيجارة ، يهذرون بوقاحة ، بينما رجال عزبة إدوار الملط وحسنى وزينهم فقد تلامست أكتافهم ، وافترشوا بلاط الحجز .. الرائحة النتنة لم تضايقهم. سبق له ان تشممها .
فى نفس المكان _ بعد الثار لمقتل أخيه عبد الله ؛

مسك بيده اليمنى ، شنبه وعاد النظر إلى عبد الحليم باشا ، وجد الوجوم يتلبسه . محمدي الجزار التصق بالباب الحديد كعامود للإنارة والحزن أسكته تماما . كان قد ضرب كفا بكف أمام الضابط ، وأقسم بالله وبالطلاق أنه لا علاقة له بالموضوع من قريب أو بعيد ، رمقت الصول الذي يسجل المحضر وطالبه بالسكوت كي يكمل المحضر ولا ينسب التهم لغير أصحابها .

قال أبو شنب لنفسه : عمى محمدى الجزار برئ بس العمدة عايز يزيحه.. " وتراءت أمام عينيه [الخية] فاتحه حنكها مثل حية رقطاء ،سوف تبخ سمها فى أى لحظة .." الدكتور بيقول : يومين بس .. آه لو كان ابن الزوانى كداب .. ح أقطع من لحمه الأبيض ، و أهرسه .. أما عينيه العسلية ورموشه الطويلة ..ح أنتفها رمش رمش"

فلفل غير واضح الملامح لأن الضوء الواهن الواصل من شرّاعة الحديد المتشابكة لا تبين إلا اصفرار الوجوه . الأذن تلتقط. إذا رغبت. هذر المحبوسين .. نكاتهم الوقحة عن النساء ورجال الليل . لم يتكلم ما (دام)عبد الحليم باشا مازال شاردا . لو يسأله عن الموقف الآن ..

لو كان الدكتور كذاباً .. لو تأتي الجوزة معمرة بقطع الكيف .. لو سنة أفيون تحت اللسان مع كوب من الشاي .. لو ينكسر باب الحجز .. لو لم يصدق ابن على الأصفر .. واقعة سوداء

باتجاه عبد الحليم باشا مشت قدماي خطوتين ، لكن بانفتاح باب الحجز المفاجئ واندلاق صفائح الماء الوسخ

،وتسرب الماء تحت الأرجل وتحت من تأخر فى النهوض ؛جعل الجميع وقوفا .يهزهم غضب مستعر .. وعلى وشك التشاحن عندى أدنى احتكاك بسيط

يسب الملط أولاد الكلب والجاموسة واليوم الأسود .

تتلقفه الأيدي المفلطحة بالصفعات و"الشلاليط" بينما الامتعاضات والتأفقات لم تلق جزاء أكثر من الخوض فى الماء الوسخ والضحك على اللسان "المفلوت" والجزاء من جنس التبجح.

❖ ❖ ❖

جاموسة يا جاموسة يا أم العيون نتوسة
خدي سنة المنحوس وهاتي سنة الناموسة

❖ ❖ ❖

ارتمى العمدة على الكنبة ، وشيخ الخُفراء يحاول أن يطفئ نار غضبه قائلا : أحضر الجوزة لجنابك ، والعمدة فى بحر شروده غارق .. تراءت له ألاعيب الغرابوة ، والدكتور ولدهم يتذاكى .. قال لنفسه .. سوف أضعه تحت ضرسي .. وأضغط قليلا حتى لا تطقطق عظامه .. العبيط لم يتعلم من الأحداث ؛

نسي أن طاروط مربوطة بقدمي ، وأن العزب والكفور المجاورة رهن إشارتي ؟

أم نسي حرب البطيخ ، عند الكوبري الغربي .

أيامها .. ظن الغرابوة أن لهم أسنانا تعض ؛

أعطيت إشارتي بعد ليلة طويلة من التدبر ، فاقتلع شباب طاروط شتلات البطيخ والبطاطس والباذنجان ، ألم تنطلق القذائف وفرَّ كل غرباوي إلى جحره وبقيت جدران بيوتهم تحمل بقعا حمراء .

ثم أصلحت بين المتخاصمين ، وأعدت فتح الكوبري للعبور .

❖ ❖ ❖

عاد الملط إلى الحجز ، مجرد شبح ، أسند رأسه إلى الحائط ودخل فى صمت ثقيل . احتضنته البرودة .. تلاعبت الحوادث أمام ناظريه ، كرامته تلطخت بماء وسخ . لم يلتفت إلى المحتجزين محاولا جمع شتاته وجلبابه وكرامته من عيونهم الشامتة ، زحفت خطواته نحو عبد الحليم باشا ، الذي كان

منتصباً كتمثال حجري .. أمسك كتفيه بعنف .. وصرخ بقوة الهارب من المذبح : أكان هذا اتفاقنا يا ابن الـ...؟؟؟

سقطت صخور من الشتائم والوعيد وتبادلا هز أجساد بعضهما ربما للإفاقة أو الإحساس بالمهانة أو بسبب قلق ظل يتسرب حتى امتلأت به نفس أبو شنب وفلفل والملط وعبد الحليم باشا بأن الدكتور كذاب ولا عهد له

❖ ❖ ❖

هل كان من الضروري أن تكون كما هي ؟؟
وأكون كما أنا
وتكون الناس كما كانت ؟؟
وتكون الجاموسة موجة من سحر غامض ، لم تزل.
من يفك شفرتها غيري ؟
من يعتلي صوتها سوى فارس سباق ،
ساعة الوغى .
يا آل طاروط ..
آن أن تفيقوا .
وآن لى أن أفك أحزمة السفر .
- كان ذلك بعد بضعة أعوام -
هكذا تكلم ،
زاهر سلامة
(ابن اللحاد)
بعد عودته الميمونة من بلاد الأغراب

❖ ❖ ❖

حبوب القمح والأرز والذرة .. اللوبيا والفاصوليا ، بذور الباذنجان والكوسة وعبّاد الشمس ، وحبوب لم تبن من خلال الضوء الأصفر - فى ظلام الليل بمعمل الدكتور زكى البيطرى - نوعها ، بعضها مبعثر أمام الفئران وبعضها مختف - عمدا - تحت طين لزج . الفئران الكبيرة استطاعت أن تنقب الحاجز الطينى المحيط بهم - من كل جانب - كي تعبر بخفة العفاريت إلى صغار الأرانب والماعز والكتاكيت ، حيث ولائم اللحوم المتنوعة

الدكتور زكى واقفاً يرقب الفئران بعدما انزاح - مع الوقت -

ضيقه ولومه الزائد لنفسه ، بسبب عدم قدرته على طي العمدة الصغير ووضعه داخل إحدى جيوبه السحرية . لم تقو فنون المدورة والسفسطة والوعود الآجلة والعقود الزائفة لأرض "الخليج" على مجابهة مكر الصغير ودهائه وشروده القاتل ؛ استمتع الدكتور بمهارة الفأر المكتنز عن بقية أقرانه فى نقب حاجز الطين وافتراس أول كتكوت لحق به . اندهش الدكتور لمهارة المكتنز وقال عمرهم واحد ونوعهم واحد

وولادتهم فى مساحات شاسعة هناك .. نفس الرعاية .. فما المبرر .. هل هي فروق فردية ؟..

كان جو المعمل حارا أكثر من اللازم لكي يسجل نتائج الحركة وسرعتها . فى ظل تلك الحرارة المصطنعة والنابعة من مدفأة كهربائية متراصة فى الأركان قال " هؤلاء الساهرون هناك فى برد الصقيع لا يتوقفون عن العمل .. كانت المدافئ تعمل بالأخشاب ، ولسعات البرد تنخر فى العظام ولم يتوقف العلم والتجارب والاكتشافات.

أحس بلوم شديد تلك اللحظة بسبب انشغاله بمهاترات الأرض والأطماع وإجادة فنون السفسطة قال لنفسه : فليشتغل عطية مخمخ أو غيره بها . فلأعترف : المعمل مملكتي هنا حيث تعمل الخلايا الحية المتشابهة ، تحت عيني . حيث تتشكل الهندسة فى مملكة الخلايا الحيوانية

تذكر المهندس "نشأت" /الفاشل ..ابن العم بعرور الذي لم يقدم حتى الآن سوى رسومات تافهة عن مبان سقطت فور بنائها بالصحراء .. أرسل الأقارب هناك رسائل استغاثة .. لو يستطيع . وتذكر حركة الهدم والبناء الدائرة تلك الأيام بطاروط فور عودة المسافرين محملين بحقائب النفط والمسجلات الرنانة ذوات الماركات الآسيوية الرخيصة .. تحسر على الأيام وعلى التكاسل وعلى سوء التخطيط . هنا وهناك . قال : كل شئ بدا مرتجلا وفجأ يذهب الفلاح معلقا الكاسيت بأذن حمارته أو بالدراجة ".. مرقت بذاكرته كالبرق فكرة ، سرعان ما أمسك بتلابيبها : مهندس زراعي هكذا نطق كالملسوع .. خبير بالتربة والمحاصيل .. قال يجب أن تنتج تلك التربة ، ويجب أن تعمل الفئران والجاموسة والنمل والصراصير والبق ..

لكـن مـا العلاقـة ؟؟ لابـد مـن علاقـات تـربط كـل تلـك الممكنات فى سلسلة واحدة

كان الدكتور زكى يشعر أنه مهموم بتلك الأرض .. بهؤلاء النـاس ولم ينس حـرب البطيخ والصـور التـى شـاهدها هنـاك للبيوت الملطخة ببقايا البطيخ وسقوط شباب عزبة الغربي فى بحـر طـاروط وبكـاء العيـال مـن الخـوف والجـوع وقـد هـب كـل واحد ، قاذفاً من كل فج ببطيخة فى وجه الحيـاة . حتى غطـى اللون الأحمر على كل الوجوه ؛

❖ ❖ ❖

قامت المبروكة من تمرغها ، ناهضة كأن هاتفاً جاءها ورن بأذنيها فاهتزتا .

لم تتشـمم المـدود للمـرة الألـف ولم تحيـي المـتحلقين الـذين أصابهم التثاؤب وخطت برجلها الأمامية أول خطوة نحو الطريق الموصل لمؤخرة القرية .. تهللت الوجوه ، تجمَّعت المشاعل عند قـدميها ثـم أسـرعت . تـدحرج السـائرون فـى المقدمـة مـن دفـع المتحلقين حولها بعنف حتى لا تتجاذبهم مؤخرة الزفة ويفقدوا متعة المشاهدة .

هـرج وصـراخ ومشـاعل تسـقط وأرجـل تـدوس علـى أجسـاد ساقطة إثر إسراع الجاموسة ناطحة من يسدون أمامها الطريق حتى وصلت الزفة من كل جانب وكل فتحة تسمح بمرور أحد.

كانوا كجيش فـار مـن معركـة حاميـة وكانـت الجاموسـة تضئ كل من حولها دون مشاعل صارت فـى المقدمـة والطبل لم يتوقف والزمر (لم تتبعثر نغماته وسط الغيطـان وتحت الأرجل المارقة .)

هـدأ الموكـب الفـار عنـد ماكينـة الطحـين إثـر توقـف الجاموسة والتفاتها للوراء، ونهوض المشاعل والطواف حولها ثم احـتلال الطبـالين ونـافخي المـزامير مقدمـة الزفـة .. ارتفعـت الأصوات مهللة وبعضها كان ساخطاً . خاصة العجائز - اللاتي جئن متأخرات .. أما العيال فقد رجمت بعضها لبعض بالطوب ، وعفرت وجوه المتأخرين والمتأخرات بالتراب.

سـجلت الأوراق ذلـك المشـهد العابـث والتجمـع النشـيط والضحك الهستيري والغبار المحلق حول الجموع المتحلقة .

تلك بداية الزفة .
وأول الليل
وتشهد ماكينة الطحين بذلك
والوجوه التى عمها الفرح .

❖ ❖ ❖

اجتمع الدكتور بمكتبه المواجه للمعمل وسط دارهم الواسعة بمستر "القلش ".. تبادلا آخر الأخبار والدور الهام فى وكالات الأنباء العالمية وقال مستر سماعين - كما يجب أن تناديه الأجيال الجديدة بطاروط - : تصدرت صور المبروكة صحف الخارج كما أعددت لحملة صحفية مدعمة بالصور الحية لحظة بلحظة.

رد الدكتور ملاطفاً المستر: تلك حملة هامة للغاية انتخاب الأوقات والأماكن المناسبة فى الجريدة ضروري .. قاطعه القلش : لا تقلق مستر زكى "sorry" .. دكتور زكى.

لم يهتم الدكتور بحماس القلش ، وإن ساوره بعض الشك فى ذكاء الصحفى الهمام . لكنه أحب أن تدور كل خيوط اللعبة أمام عينيه .. يعلم أن "القلش "يأخذ تعليماته من عطية مخمخ وغيرهم . لكن لا تفوته مصلحته طبعاً .

❖ ❖ ❖

يمتد الليل عند الصباح . تدق الطبول وتتنوع النغمات حسبما يطلب الراقصون . كان عاملا مشتركا فى كل الرقصات ، فرحاً بما قدمته يداه من أجل نصرة الحق ورفع حجب الشك والوهم العالق بخيالات أهل طاروط .

يخرج صديق من جيبه التحية للطبالين ، يتردد اسمه واسم ولديه وأبيه محمد أبو عابد شيخ الأمانة وأب الأمناء .

أمام دار "سماعين الجمل" وعبد الحليم باشا وابن الشيخ سليم، توقفت الزفة.. طويلا باشارة من "صديق"

تكررت "شويش" ، وتحية للأهل الغلابة ، ولرجال طاروط الشجعان .. الشجعان فقط ..ولا للخونة واللصوص وأولاد الكلب ، " وسلام يا جدع للرجالة و للى صبروا على البلا . . للشرفا وبس ،ورقصنى يا جدع ".

أيقن "صديق" ساعتها أنه ليس وحده ابناً للحق ، وأن الخير

مازال لم ينفذ من الناس خاصة الشرفاء كما كان يظن زاهر ابن سلامة اللحاد .

❖ ❖ ❖

❖ أخبار الناس
عاد بسلامة الله
د . هاشم الطاروطي
أخصائي الزراعة
والتصحر والري الحديث ؛
المعروف بأن
الدكتور هاشم
قد قضى ما يقرب
من عشرين عاماً في...
الأنباء المعزاوية في / /
كُتب على الصفحة السابقة بأخبار الحوادث .
[جاموسة طاروط]
....بالإضافة لحوادث السرقة والعنف أثناء
سير الموكب لعدة أيام وليال .. في القرى
والكفور والعزب المجاورة لطاروط .
وبرغم سقوط قتيل وثلاثة أطفال تحت
الأرجل وعشرات الجرحى إلا أن الزفة
استمرت دون توقف . كما مات "صدّيق"
محمد عابد .. الشاهد الأول لظهور
الجاموسة .. في اليوم التالي .. ميتة
طبيعية .
صفحة الأنباء في / /

❖ ❖ ❖

في جوف الليل تتسع المسافات بين الأماكن . يملأ القلب خوف وظلام .

تزحف السحالي بجوار الحوائط ، مسرعة ، مذعورة ، تنبح الكلاب مُطاردة أشباحاً لا تراها غير عيونهم الضيقة ، بشررها الأحمر .

تنهض العفاريت بقلب السائرين .. تتراءى لمسة السحر

بأطراف أصابعها ونفخة النار بفمها المفلطح .
إنه الظلام ، سر المخاوف والأوهام والأحلام والكوابيس
لن يتزحزح الظلام عن قلب نافخ الكير المكبل بالسلاسل _ داخل دار شيخ الخفراء _ إلا إذا نطق .
واعترف بأنه قد سقى "صدِّيق" كأس الموت .
ويذكر اسم من أوصاه .
واشترى ضميره ، وبكم ؟؟.

❖ ❖ ❖

كاندهاش الحالم .
يقرأ
.❖}}} خردوات.زاهر سلامة{{{ ❖ .
يده فى جيب سرواله المكوي . يتحرك بضع خطوات باتجاه الجنابية ثم يعود ، يرفع هامته كمن تذكر شيئاً باللافتة .. لمبات النيون مطفأة . النهار زحف منذ قليل تدور اللمبات المزدوجة حول الاسم العربات تقطع الطريق الترابيوتخلف الغبار حول الكوبري ، تنثره فى وجه زاهر سلامة اللحاد الذي يرقب اللافتة لدى أول نهار عليها . أول شعاع للشمس ينعكس على الأرضية الفضية أعلى محل الخردوات ..

قال لنفسه : كل الطيور إلى موطنها تعود . حالة من الرضا شملت روحه ، أيقن خطأ معارضته للدكتور هاشم .. فى قرار نفسه كان يرغب العودة . بل يتعجلها أثناء الليل الرابض على قلبه هناك . كأنه مشدود إلى الجنابية والسيسبانة وغزالته الطريدة .. ينط الخفر من وجنتيها ، سائرة بدلال على الممشى الترابى الضيق بمحاذاة الجنابية وأحواض الزرع المحدودة كان يتساءل وهو صغير : لماذا ترك أهل طاروط ذلك الشريط الضيق من أحواض الزرع دونما بناء .. يجيبه أبوه .. كان هنا بحر قديم .. جاءت مصلحة الري والخطط والمهندسين على رأسهم طواقي ابناء البندر ؛

شمر أبناء طاروط ، و"ميت أبو علي" ، و"طحلة: جلابيبهم وكل من تسكع بلا أشغال من أبناء القرى حملوا على أكتافهم مقاطف وفؤوس.. حفروا البحر الجديد .. بحر طاروط وردموا بترابه البحر القديم . كان ذلك أيام سرقة جاموسة

السيد أبو عودة تلك الأحواض "والجنابية" والطريق الترابى كانت تقع بين البحرين اللذين أصبحا بحراً واحداً . هناك كان ابن اللحاد ينادي غزالته وبحره القديم الذي لم يره وليالي السيسبانة ..

صحا ذات ليلة من أوائل لياليه هناك ، صارخاً ، آمال .. أين أنت يا آمال ؟!.

"طرطشت " الحنفية العمومية ملابسه .

أفاق من شروده أمام محل الخردوات

من تركت الحنفية مفتوحة ؟؟.

البيت الحجري الذي استأجر أحد محلاته لم يكن هو من اقتلع أحواض الزرع ؟؟!

هل الحاج عبد الله أبو متولى أم الزمن أم زاهر سلامة ؟

مات سلامة اللحاد . كذلك يجب أن يموت ابن اللحاد

ضغط بقلبه أطياف الذكريات

هل تنسى سلامة اللحاد ؟، عارياً أمام المسجد ، أخذ شهيقاً طويلا .. طويلا

قال : الأيام هكذا ، تدور ناسية ومتناسية شئت ، أم أبيت .

❖ ❖ ❖

حسونة

نافخ الكير .

غريب ، ليس من طاروط .

استأجر داراً ، نصب أفران النار ونفخ ، صار الحديد فؤوساً وشقارف ومحاريث .

طاروط تحفظ الجميل ، أبداً لم تجحد المعروف اتخذت من حسونة ابنا لها ، أنزلت بركتها عليه . زاد الرزق والعمل فأحضر المساعدين من الصبيان الأغراب .

لما أحبت طاروط تزويجه ، قال : عندي الزوجة والعيال ولم تر طاروط _ أبداً _ زوجة حسونة أو عياله ولم تنس ذلك

كما لم ينس شيخ خفرائها محمد أبو عابد .. كلمة ابنه صديق وهو يطفح أمعاءه ويستعجل الموت ،

سامحك الله يا حسونة

❖ ❖ ❖

لستِ كما كنتِ يا طاروط
قال الدكتور هاشم منذ عودته .
صحيح أن بيوت الحجر واسعة لأنها قامت مكان دور كبيرة . فكبراء طاروط _ فقط _ أول من بدءوا بالبناء الحجري . بعدما حملوا حيطان دورهم الطينية ردموا بها الشارع أمامهم . جاء النجارون والحدادون وعمال الخرسانة إلى طاروط فاشتغل معهم الهاربين من الفلاحة والأجرة وقالوا : نتعلم مهنة .
لكن إلى الآن لم يهدم أصحاب الدور الواطئة الطينية دورهم لأنهم لو ردموا الحارة أو الزقة من أمامهم
لا نقطعَ كل ما يصلهم بالعالم ، لارتفاع الردم وضيق الشوارع
بينما بيوت العمدة أولا والحاج عبد الرحمن أبو شامية والسيد أبو عبد العزيز وعبد الله أبو متولى وغيرهم يحتوي على فراندة تتفتح على حجرة للضيوف ذات باب منفصل وللبيت بوابة من الحديد . وإن استطالت أكثر ببيت العمدة فذلك لأسباب معروفة ليست كل بيوت الكبار لها حدائق كبيت العمدة وليست لها بوابتان _ أبدا _ سوى بيت العمدة لنفس الأسباب .
كان الدكتور هاشم يقطع شوارع طاروط ماراً بشارع داير الناحية . يتلفت كالسائح يمنة ويسرة وأحيانا يتوقف ناظرا لتل من السباخ أو مربط كبير أمام دار ، ولم يلتفت إلى تبرز العيال أمام الدور ؛ ولم يعد يغطي أجسامهم جلباب من الكستور للصبيان أو الدريفيلة للبنات ، الآن الشعر هائش والعيون يسكنها "العماص" وديارهم واطئة . بيد أنهم يلعبون .. ويصرخون فى وجوه بعضهم ، ويتقاذفون ، أشجار التوت على شواطئ الترع ويتسلقون نخلات روايح هؤلاء العيال هم رائحة طاروط ومعناها القادم .
على مقعد نظيف من الجلد ببيت على الأصفر جلس الدكتور هاشم، أمامه مكتب الدكتور زكى وعلى مقعد أمام المكتب جلس الدكتور زكى يتطلع إلى ملامح الدكتور هاشم يلاحظ النظرات الموجهة تجاه المعمل المغلق .
تسحّب الضيق إلى صدر الدكتور زكى بسبب نظرات د. هاشم الفاحصة . لم ينطق حتى الآن سوى بالسلام

هز رأسه بدون شكر ولبى دعوة الدكتور زكى بالجلوس مكانه على مقعده ومكتبه قطع زكى الصمت المتشبث بأعصابه

: عجبتك العيشة فى طاروط يا دكتور هاشم

: طاروط تعجب الدنيا كلها .

: خدتك من بلاد النور

تضايق الدكتور زكى موقناً أن الكلام أخذ طريقه نحو مغارات بعيدة وألاعيب ماهرة من التورية .

وهو يحب التحديد وطعن الموضوع فى كبده

: إيه مشروعاتك يا دكتور هاشم

: مشاريع زراعية

: عارف تخصصك .. أقصد

قاطعه دكتور هاشم بنظرة ثاقبة أخرجت كل ما يعتمل بصدر زكى البيطرى.

استند د. هاشم بكوعه على المكتب وأسند فكه وذقنه على يمناه المرفوعة كزهرية ممتلئة بالشعر.

أحس دكتور زكى أن أصابع دكتور هاشم طويلة وتكاد أن تغطي صدغه الأيمن .

: تحت أمرك يا دكتور زكى

: حبيت أتعرف بيك

: أسأل عن داري .

أحس د. زكى بالإهانة .. وأنه يستحسن الابتعاد عن الترحيب الطاروطي مع واحد عاش فى أوروبا أكثر من اثنتى عشرة عاماً . لذلك نطق دكتور زكى : تحب نشتغل سوا؟

يتوقع د. هاشم عرضاً كهذا منذ وصلته دعوة دكتور زكى .. لذلك عاد بظهره للخلف .. حاول قراءة عيني زكى القلقتين المتنمرتين ثم أمعن فى الصمت كوسيلة لإحراق أعصاب زكى الذي تكلم بعصبية واستعجال .

: ايه رأيك ؟؟

: قلت نشتغل مع بعض ؟؟

: sorry واضح أن دكتور هاشم سمعنى كويس .

:سمعتك وما فهمتش

: أنت عايز مصلحة طاروط
كمثقف ومتخصص عليك واجب ناحية..
: واجب وطني ؟؟! ...
: تمام
كادت الابتسامة الساخرة تفلت من بين شفتي د. هاشم إثر "واجب وطني التى حضرت فوق لسانه جاذبة أيام زمان .. أيام الشعارات العظيمة والهزائم العظيمة وكيف حزم حقائبه واختفى .
: موافق
اندهش الدكتور زكى البيطرى ، وبانت على وجهه تساؤلات وحسابات مُتداخلة .
سقطت فجأة كل خطوط هجومه المكثف ، إثر طلقة واحدة من د. هاشم

❖ ❖ ❖

اختفـــــــاء

الكتّاب اللي بقى سوبر ماركت

" وأنا كنت صغير
كنت أنا والواد ابن قريبتي
نلعب فى الحارة
الحارة اللي بقت شارع دلوقتي
كنا نروح ونلم الطوب م الغيط
الغيط اللي بقى موقف للعربيات "
حاجات مفقودة كتير

(عزت إبراهيم)

لم تعرف طاروط أن الأيام تنسحب من تحت أرجلها منذ مئات السنين ، بدون قلق أو جهد يذكر ؛ لأنهم اعتادوا الصبر الطويل ، والتأوه، والنظر فى عيون بعضهم بلا مبالاة . مازال فى طيات النفوس نفاذ لجبروت الأيام وبأن الزرع يكبر ، وأن أبا قردان وأبا مضارة والإوز العراقي والبط البري سوف يحط وسوف يصعد ، وأن لكل شئ مواسم وللقمر منازل .

والحياة هي الحياة ، بتواترها المعتاد بنظرات الأسى فى العيون بالنكات الساخرة و"النقورة" على عباد الله إذا انزلقت أقدامهم على روث البهائم أو أغفلوا السلام على القاعدين أو عُلقوا من آذانهم فى "أودة التليفون" دوار العمدة ؛ ويخرجون صامتين .

تتزاور طاروط ، تشرب نخب الحياة فى تقلبها وتضحك حتى تبين نواجذها .

يقول أهل طاروط .. نزوج العيال فى القطن ، أو مات فلان بعد البرسيم ، قبرنا امرأته فى بدء زراعة الأرز ، وكان القمر فى تمامه ، أو حفرنا البحر الجديد منذ زمان وكان القطن فى الغيطان .

أول من لبس الساعة وانعكست أشعة الشمس على زجاجها حتى زغللت عيونهم كان هو العمدة الكبير .

لما يستوقف الشيخ محمد النجار - الآن - الرائح والعائد سائلاً عن ساعته ، بقوله الأثير : اظبط ساعتك

تراهم يضحكون .

فقط أولاد العمدة الصغير هم من عرفت معاصمهم الساعات . ارتدوا القمصان وشمروا أكمامها والبنطالات الضيقة ، التصقت بالأفخاذ .

تغير الزمان منذ زمن قريب ، لما عاد أبناء طاروط من البلاد البعيدة بحقائب سوداء وبنية وحمراء . أفرغوها ، فظهرت الملابس "الإشي"❖ والساعات المذهبة والمصليات المرسوم عليها الكعبة ومسجد النبي .. ألبسوا أهاليهم الشيلان البيضاء ،

وأبناءهم الفانلات المنتيجوه ، ثم ذهبوا للعم "محمد أبو السيد" الترزي لأخذ مقاس أطوالهم لم يعجبه استطالة أعوادهم ، وفى الليل وخزته نحافتهم وضحكهم الأجوف قال : الغربة بحرها غويط .

ظهرت المسجلات الناشونال أمام دورهم تحكي - فى العصاري - سيرة الشطار والمخدوعين وتمدح النبي ،

بعد مجيئهم بأيام . يمرون بأنحاء طاروط ، يظن من يراهم أن طاروط بمبانيها وناسها وحيواناتها أوحشتهم، يقابلون ترحيب الناس، وتهليلهم والدعوة للشاي وأنفاس المعسل ؛ برفع اليد (دلالة الاستعجال) فقط هى ابتسامة صفراء،تبين ، كالوميض ، و يستمرون جائلين بأعينهم على الأراضي الخضراء المجاورة للبيوت الجديدة .

فى سرية تامة يشترون القراريط ويسجلون العقود ثم تهبط الجرارات ساحبة وراءها المقطورات مشحونة بالطوب الأحمر والأسمنت والزلط والرمال ، وفوق عيدان الزرع الأخضر تسقط الحمولة محدثة ضجيجا يعرف به كل طاروطي ، عندما يشم رائحة الغبار ، يراه صاعداً فوق الدور على شكل غمامة سوداء . تتحدُ بالغيطان وباصفرار الشمس .

أما من فشل فى اصطياد أرض ذات موقع جيد ، بسعر معقول فإنه يقسم بالطلاق وبالله : أنه سيقيم من حجرة الطين بيتاً يُضاهي بيوت الحجاج.

فى ذلك الوقت

كان المهندس "نشأت" _ ابن "العم بعرور" قد حضر للبلدة وفتح مكتباً للهندسة والمقاولات . استعان بأبناء طاروط الذين تعلموا المهن المعمارية ، فصاروا نجارين وحدادين وسباكين وفنيين بالكهرباء ولم تسحبهم النداهة بنداءاتها الليلية . ربما لأن أسماءهم قديمة ، وربما لأنهم غير مهرة .

لكن المؤكد أن طاروط كانت تنتقل شيئاً ، فشيئاً نقلة حضارية بأبنيتها الخرسانية وطوبها الأحمر حتى إن الناس كانت تسمع كل يوم عن دور واطئة تسقط وبيوت تنهض فى لمح البصر ؛

أما الغائب كالدكتور هاشم حين عاد ، وسار فى شوارعها

وحاراتها تلبسه الاندهاش ، وكان يحتاج - كثيرا - إلى التوقف كل بضعة أمتار كي تسجل ذاكرته ملامح المكان الجديد ؛ يهدم ويبني في مُخيلته أعواماً مضت وأعواماً قادمة . ربما يضحك لمرأى العيال الذين كشفوا مؤخراتهم ، بعدما خلعوا البنطالات السموكن وركنوها بجوار الحوائط لكي يتبرزوا أمام بيوتهم الحجرية .. بينما السيدات فقد انزلن فوق "القورة" شعرهن المصفوف ، والمبروم والمجدول ، لبسن الجلابيب الضيقة المجسدة لجمالهن الذي اختفى أعواماً تحت جلابيب واسعة من الكستور أو الدريفيلة.. من بيع المصنوعات وعمر أفندي وصيدناوي ......الخ .

أيام الكوبون والبطاقة الصفراء .

❖ ❖ ❖

مقام سيدي أبو منصور

والحصيرة مفروشة فوق المصطبة التى أمامه ، بابه الخشبي العتيق مُغلق ، لا ينفتح إلا بعد المغرب ، بعد العصر

يخبط بليلة الحصيرة فى الأرض مرات أمام داره المجاورة للمقام _ يفصله الشارع والجميزة عنه _ تنفض الحصيرة غبارها وتستوي عند أول سلالم الصعود ، عليها يجلس بليلة وبجواره الحاج صلاح أبو متولي. بعدما يدور الشيخ محمد النجار _ كعادته _ حول البلدة ، كأنها من أملاك أبيه .

يعود إلى نقطة انطلاقه من المقام ، يفترش حصيرة بليلة ، يبسمل ويحوقل حتى يضيق بليلة به وبمسبحته التى لا تتوقف بين أصابعه .

قال بليلة للحاج صلاح : بهايم أبو شامية كلها اتسممت .. تفتكر يكون .... توقف مستطلعا مشاركة الحاج له فى تكهنه أردف الحاج صلاح هازا رأسه طبعا هو .. محمدى الجزار .. مش لهف منه المشيخة بصنعة لطافة وسوء سمعته .. خبط بليلة كفا بكف بس والنبى صعبان علىّ محمدى .. أكمل الحاج " برئ يا ناس .. برئ والله " فردّ عليه الصول : " استنى على ما نثبت "

"وكفاية القيل والقال فى البلد اللى يتقرط لسانها دى ..." بعد توقف ، قال بليلة كمن تذكر شيئا هاما .تصدق يا حاج

صلاح .. بنتى بتقول إنها شافت " سلامه الصغير ابن الحاج زاهر راكب عربية كبيرة فى الزقازيق وجنبه بنت " العم بعرور " زفر الحاج زفرة ضيق . راجعا بالذاكرة للوراء أكثر من عشرين عاما .ثم قال : " الأيام زى الساقية ، بس مش فى كل مرة ح تطلع ميه .. أوقات بتطلع طين"

❖ ❖ ❖

نهار بارد .
يمضغ الكسل قلوب السيدات
العشاء لن يعدّ الآن

الرجال فى الغيطان بعدما قطعوا الحشائش الضارة بالزرع ، بمساعدة النساء والصبيان وتغذوا بالمش و"السريس" و الجبن القديم تحت أشجار السنط أو التوت أو العبل عند رأس الأرض .. شربوا الماء من "الطرشية"❖ وركنوها داخل الخص ثم استراحوا فى ظل الأشجار .

تعود النساء إلى الدور ، يملأن الزير من الطلمبة القائمة وسط الدار ويكنسن القاعة والدهليز والمندرة ، يبعثن بتحركاتهن ، روح الحياة إلى عروق الدار ، النائمة منذ الأمس ؛ وجوه القريبات والجارات حمامات بيضاء تحط على أبراج الخالة " فايزة أم هاشم ، يذهبن للاطمئنان حاملات زوادة الغداء؛

بعد السؤال عن الصحة والسلامات والتثاؤب .. يعاد الكلام عن أيام الشباب ،وعن العيال التى مازالت لم ينصلح حالها .. وعن المسافر والعائد والقائم والنائم ، يتقلب الكلام على كل وجه ولا تضيق به الصدور . بل تتفرج أسارير النشوة إذا أحست إحداهن ببقايا طعم للحياة فى تواترها الرتيب ، تقول الخالة فايزة لقريبتها "حبيبة" ورفيقة صباها : "والنبي فيك الخير يا أختي .." إزى الشيخ عبدالوالى ؟ " ، " بخير يا حبيتى " وتنظر امرأة القمحاوى إلى الخالة وهي قاعدة أمامها كأنها تنتظر منها الثناء. لكنها أبدا لم تنتظره ، ولم تحظ به إلا لماما ، وخاصة فى أوقات العسرة ، ربما تسمع به من أخريات .. نقلا عن الخالة . هذه المرة نالته من الخالة " حبيبة " ، " ربنا يخليهم لك يا بنتى ، وتفرحى بيهم " . يعم قلبها الرضا وتهم ناهضة

كى تعود لدارها ، تاركة لهن الوقت لاسترجاع ما فات من أخبار . كانت تود لو تشارك ، لكن زوادة الغداء لابد من إرسالها ، مع الولد ، فالقمحاوى - زوجها - لا يصبر أبدا على الجوع ؛ يغير ريقه بعد العودة من صلاة الفجر ، بما تيسر ، قطعة جبن قريش ، أو "بق لبن " .. ثم يسحب البهائم ، ويركب الحمارة ، ذاهبا إلى الغيط مع أول زقزقة للعصافير.

اليوم كنست الدار للخالة فايزة ، ورمت بحبوب القمح للحمام ورمت بحزم القش و"الهندى " - عادة ما يطلق ناس البلدة ، على حطب القطن هذا الاسم ، ولم يسأل أحد عن سر هذه التسمية إلى الآن - من فوق السطح ؛ولم تسأل عن أحوال الدكتور الذي صار ابناً لكل طاروطية !

من هنا تنتقل أخبار الرجال من لسان إلى لسان حتى تدور بكل دور طاروط ، وقبيل عصر اليوم التالى تكون قد انتقلت إلى المصطبة ومن ثم إلى الشيخ محمد النجار الذى يتولى نشر بعض الأخبار الهامة وهو يتناول بعض الأطعمة ، أما فى حال تعكر المزاج ، فإنه لا يجيب أبدا عن الأسئلة ، وغالبا ما يركن بقعر داره ، ويتعفف عن الكلام .. فقط يتأمل حيطان الدار ويأكل ما يقدم له من طعام ، وحين تنام طاروط ، يظل صاحيا يهمهم بكلمات غير واضحة ، ربما كانت حوقلة ممتدة وأبدية .

❖ ❖ ❖

عروس ترفل بثياب العُرس نشوانة فوق سطح الدار الجديدة تردد أغنيات فايزة أحمد ومحمد العزبى ، و رشدي ، يلعلع صوتها بدلال وتشوق . تتدلى الملابس المغسولة فوق حبالها المدودة بين الصوامع وبين قائم الخشب بأول الدار _ على غير عادة الدور الطاروطية فى مد الحبال _ تدوس قدمها المحناة على أغلفة الذرة والقش من آخر السطح إلى أوله والملابس لم ينته نشرها ، فوق الحبال .

أما الزوج الذي يحمل قلبه آيات الشكر لخاله " عبد الحليم باشا " لأنه منحه حبة عينه ، لتنير الدار وتجلجل بصوتها فوق سطحه . الآن فقد يُقَربُ غابة "الجوزة" إلى "حماه" ويخمش بالماشة الجمرات الحمراء فوق الحجر ، ويتذكر مع خاله أيام

كان غراً يلعب فى الشارع وعروسه مازالت فى أقماطها . عند أقماطها - بالذات - توقف الكلام فجأة . توقف إلى مالا نهاية ، إثر سقوط الجسد الغض المخضب بالحناء ، من فوق السطح ، ولم تزل بقايا الأغنيات ، عالقة بشفتيها. رأسها مخدوش خدشاً صغيراً يمكنك أن تسده بإصبعك ، هكذا يحملها عبد الحليم باشا ؛ أبوها بين يديه باتجاه سرير عُرسها ، تستولي " الفاجعة " على الزوج الواقف بوجهه المصفر ، ويسقط قلبه بين رجليه ، وبعد أيام يقعد فى ذات" الأودة" متأملا حجر الجوزة الذى يطقطق مزدحماً بجمراته الحمراء ،حتى تتحجر الفرحة فى قلبه ؛ وتتبدى فى عينيه نظرات الاتهام إلى خاله ،نظرات تضع تاريخ الخال باستمرار أمام عينيه ، ولما يقرأها الخال فى عينيه كان يدير عنها وجهه ؛ بل كان يتحاشى التواجد مع ابن أخته فى مكان واحد .

❖ ❖ ❖

مازالوا قاعدين أمام المقام يديرون الحكاية فوق نار هادئة .. يستبطنون حكمة المنتقم الجبار لموت صديق غدرا ، فى سقوط العروس ابنة " عبدالحليم باشا " ، ومن بعده انتحار ابن سالم الحمَّار متأثرا بجراحه - فى المستشفى العام بالزقازيق - إثر محاولته الناجحة بالموت محترقا .وذلك بعد انكشاف خبره وتكرار محاولاته فى النوم - عنوة - مع أخت زوجته . ولما فشل فى تطليق الزوجة والدخول بأختها ، الممتلئة النابضة بالأنوثة ، والتى إذا خطرت متدللة فى مشيتها ، تبعتها أعين الشبان ؛ ولم يجد - ابن سالم - خلاصا من النار التى تحرق جوانبه وتلسعه بسياط الرغبة ؛ سوى أن يسكب زجاجة كاملة من الجاز على ملابسه أثناء وجود زوجته بماكينة الطحين وخلو الدار من ولديه ، فقد أخذت معها الرضيع وتركت الثانى لأختها ، سبب الكارثة - وإن لم تكن لها يدٌ سوى أنها لم تطاوعها نفسها مخافة دخول أحد ، وتكون سيرتها على كل لسان ، فقد كانت هى الأخرى راغبة فيه ، بل شاركت فى تأجيج نار شوقه إليها حتى ظن أنها واقعة لا محالة ،راغت منه كما يروغ الثعلب .

لو يمكن أن نوضح بأن ما تمنحه الطبيعة أحيانا للإنسان

من هبات تكون وبالا على أصاحبها ؛ أو تودى بحياة الآخرين، الطامعين ثمة صراع أبدى من أجل الظفر بعطايا الطبيعة ومواردها حتى على مستوى الشعوب والدول] .

ينتقل الخبر من دار إلى دار ومن عابرة إلى قاعدة ومن صبي إلى امرأة أن :

[ابنة عبد الحليم باشا سقطت _ بملابس عُرسها _ من فوق السطح ميتة]

❖ ❖ ❖

أشجار الكافور قائمة لم تزل وسط ريح عاصفة ، لا يتمايل عودها ولا ينحني ، سامقة كنخلة ، يتساقط اللحاء الجاف ليبق الأخضر ملتحماً بالعود الريان ؛ من تحتها يجري الماء فى خليج الطبالة ، برغم "ورد النيل" والحلفاء ، فلم تتوقف أيادي الفلاحين الخبيرة عن إزالة كل النباتات التى تعرقل سريان المياه إلى القنوات والغيطان .. وبين الخطوط كانت الخالة فايزة أم هاشم تحش البرسيم"بالشرشرة" وتكوم خلفها . بالقرب من حافة الخليج ، بينما الدكتور هاشم قاعدا تحت الكافورة بجلبابه الأزرق ، حاسر الرأس كعادته ، لذلك أصرت أمه على أن يقعد فى الظل عند رأس الأرض [أربعة قراريط تبقت من ميراثها ، تزرعها بنفسها] .

رمى الدكتور هاشم بعينه إلى الأرض . أحس بأن الاتساع القديم يضيق والبيوت الحجرية تزحف كالثعابين ، أما مزارع الدجاج الأبيض فممدودة كقطار خرب بجسد الغيطان . صار الزرع وساما أخضر يحمله المحاربون القدماء انفض حاملو الدبلومات والصبيان عن الزراعة .. فضلوا مسح خراء الدجاج الأبيض إلا القليل أمثال محمد أبو خيشة وعبد الله بن الحاج صلاح أبو متولى. ربما لأنهم أخفقوا فى استكمال تعليمهم . فشربوا الفلاحة عن آبائهم . أم أن المزارع لم تكن قد ولدت بعد

ضحك الدكتور هاشم وخبط حصوة حجرية فى ماء الخليج ثم قال : متى يردمك الحصى الأحمر يا خليج الطبالة.

موجة هم تتسحب على مهل مع الحصى والخراء الجاف حتى تمكنت من روح هاشم . تناوش فى مُخيلته الصور البعيدة ولم تنهض المقارنة بين طاروط الستينات والثمانينات أكثر من

عشرين عاماً .

بعدما أكمل دراسته وخرج مع الآمال مشحوناً ككل القلوب الخضراء والزرع والأشجار لم قد أسقطت أوراقها بعد أن دخل الجيش تساءل وهو يقذف بالحصوات فتتدافع الدوائر وسط الماء إلى مالا نهاية ولا أثر لقذائفه كانت الطيور تسقط أمام عينيه برصاص صياد غادر ، يختبئ وراء الظلام .. كأن شريطاً مُهيناً من أفلام الأكشن يطفئ كل الشموع لتبقى أصوات القذائف . والوجوه المدماة وسط صحراء لا يعلم إلا الله - والخونة - مداها . تلك أيام سوداء لماذا ترفرف - الآن - بأجنحتها.. طائرات تئز .. مرارة فى الحلق وانقباض بالأمعاء ملامح رمال الصحراء ، من نجا حمل بقلبه جرحه والصمت يحوطه ، فاختلى بركن داره " وأنا لم أعرف البكاء . وإن بكت كل جوارحي ، حين (وسدت العيون المفتوحة على الفناء بطن الرمال والريح تذر الرمال فى العيون)

لماذا لا تتوقف الذاكرة عن الحفر

هل زاهر سلامة .. هو زاهر سلامة الذي عرفته هناك ؟

أين اختبأ القلب المرتجف ؟

صار القلب حديداً والطموحات محلاً للخردوات وآخر لبيع الدجاجات النافقة بأنصاف الأسعار يبدو أن دوام الحال من المحال .

: مالك يا بني ؟

: حزين .

: م البلد ؟

قالت لنفسها " واضح إنه عاوز يسافر تانى

سافر يا بنى .

: وتسافري معي ؟؟

: والقيراطين اللى حيلتنا ؟؟!!

: مش محتاجينهم .

: خواتك محتاجينهم .

: سيبيهم لهم .

: روحى فيهم .

وبعد صمت طويل قالت : ينفع ناخدهم معانا .واحنا

مسافرين.
نظر لها مليا وآلمته سخريتها .
وتوقفت عن حش البرسم للحمارة والأرانب التى تعشق تربيتها ، واستدارت فجأة ، للدكتور .. وسألته
:إيه رأيك فى وحيد ؟
: وحيد !!
: وزمايل وحيد .. مش عندك برضه فى الكلية؟؟؟
ثم أحجمت فجأة عن المواصلة ، وتأوهت كمن تنعى حظها فى عيالها .. اثنين فى السجن .. وبنتين لا تراهما إلا فى الأعياد .. والصغير مقتول منذ عام .. آه يابنى رُحْت فى عز شبابك .... والوحيد الذى ظنت أن الزمان عوضها به يئس .. ويرغب فى ترك البلدة بما فيها .كادت الدموع تنهمر من عينيها لولا عزيمتها فهى لم تعرف البكاء منذ تركت لها أمها تربية أخوتها ورحلت بعد أبيها ببضعة أعوام طوال عمرها تحتمل .. لكنها الآن تحادث الجدران .. فى الليل تنهض كافورة صلبة أمام سيدات البلدة ، ووحدها .يفترسها غول الوحدة .
أحس أنه طائر ليلى يتخبط فى حوائط صلبة . كأنه يرى شخصاً غيره .. تركته أمه كى يرتب أوراقه من جديد . ربما يعرف الضوء طريقاً إلى مجاهل نفسه بعدما يحوطها الظلام والقنوط .

❖ ❖ ❖

باتت كل الناس بطاروط تتوقع الحوادث الخارقة ، تقلًب الأمور رأساً على عقب . منذ ظهور الجاموسة والحوادث تتعاقب بسرعة مذهلة .
مثلا
اشتكى العيال فى المدارس من كثرة الحشرات الزاحفة ولما زجرهم الناظر وضرب جميع الطلاب حتى لا يرددوا تلك الخرافات .
علمت طاروط أنه غاب عن المدرسة مصاباً (بحُمى الهرش .)
وقيل إن ما أصاب العيال يرجع إلى ترديدهم مقولات الناظر الساخرة من جاموستهم أم قورة بيضاء .
اجتمعت طاروط وقررت رش كل الفصول على نفقتها .

وتشميس المقاعد بفناء المدارس مع حجب العيال الأسابيع الباقية حتى موعد الامتحان

كما أن فكري أبو عطية لم يفرش بالسندوتشات الفينو والحلويات مخافة الهرش وعدوى عياله الصغار أما العم عبدالله أبو متولى فقد أغلق المسجد المسمى باسمه والمقام على أرضة بجهود طاروط _ وجهوده طبعاً _ بعد صلاة حتى لا ينام به كل عاطل وتنتقل عدوى الهرش من الأجساد النتنة إلى المصلين ، ولا يجوز أن يقف الواحد بين يدي الله وهو يتهارش فتفسد صلاته . بهذا أجاب على كل المتساءلين ولم يتوقف أحد أمام عُشة زهرة عند الكوبري لشراء القصب أو احتساء الشاي

كما ردد العارفون ببواطن الأمور من كبار طاروط أن الجاموسة تسمع كل ما يقال عنها وتصب غضبها الشديد فوق رؤوس المتشككين وتوقع كل طاروطي أن تنتزع البركة من أرضه ذلك العام.

❖ ❖ ❖

: الناس دى بتحب عيشة السجون .

هز رأسه الحاج صلاح أبو متولى موافقا على كلام بليلة

: عندك حق

: كان العُمدة الصغير يصفهم بأنهم تعابين

: أبو شنب أهطل يا بليلة .

: يا شيخ عبد الوالي ..آمال مشى معاهم ليه

: فتحى الأقرع هو شيخ التعابين

: وهو ربنا جزاه

: " يمكرون ويمكر الله "

:صحيح يا عم الشيخ . بعد طلوعهم من السجن فى موضوع الجاموسة انعكوا فى قتل صاحب أخوهم جمال .

لم يترك الحاج صلاح أبو متولى مجلساً أمام المقام إلا وسارع إليه ، مشاركا بالشاي والآراء والتأوه على فساد الأحوال ، كأنه ليس من الحجاج قال للشيخ عبد الوالي ابن عمه

: فتحى الأقرع يستحق حش رقبته

لكن أبناء خالة فايزة أم هاشم .. بهايم

بليلة : طوال عمرهم بهايم
عبد الوالي : دول أخطر من فتحى .
الحاج صلاح أبو متولى: معاك حق يا شيخ
بليلة : مش فاهم
الشيخ عبد الوالي : أبو شنب وفلفل وغيرهم .. سلاح أعمى يا بليلة
هز بليلة رأسه بحسرة وتراجع بظهره إلى جدار المقام
: "عقلك يا عم الشيخ يوزن طاروط بحالها
تنفرج ابتسامة الشيخ هادئة رزينة . لم يعتد الشيخ عبد الوالي مجلس المصطبة أمام المقام . لكن بليلة أصر على الشاي ، ولما قعد الشيخ . وتجاذبا أطراف الكلام وشارك من قعد وانفض من تعجل ؛ مال بليلة على الشيخ عبد الوالي وحدثه فى شيكارتين سماد على سبيل "السلف" حتى تنفرج الحالة ويعود ولده من رحلة تجارية ، لم يمانع الشيخ رغم أن أولاده لم يعرفوا رحلات التجارة وأرضه الضيقة فى حاجة ، وتذكر النحيلى ليلة أمس ..
وصل النحيلي - تلك الليلة - إلى الدار بعد العشاء .النحيلي هذا يفتح الأبواب ، بدون احم ، أو دستور.. متعللا بقرابة بعيدة لكل ناس البلدة ؛ وخاصة الشيخ عبدالوالى
ينجعص على الكنبة ممدداً ساقيه كملك سابق قريب أمي لا أنكر .
لكنه كالخواجة الذي أفلست تجارته .
لا يعرف الناس إلا عند الحاجة .
كان له ملكاً زمان .. أضاعه في المخدرات ، والسهر ، والعزائم .
ياه .. يا نحيلي .. الآن نعرف أقاربك ، تتسول كوب الشاي ، وأنفاس المعسل مع عبد الباسط .
كنت نائما حين وصل تلك الليلة
بعد الفجر دخلت المندرة لأوخز الولد باسط في جنبه كي يصحو .
كبر الولد .. وليس حراماً يا امرأة أن يساعدني في ري الأرض ..

قالت أمينة أمه :
- أنت خدت الليل بطوله نوم..
ولم أحب المجادلة - أبداً - في الصباح الباكر حتى لا يكون يوماً منحوساً .
دخلت المندرة لأوقظه .
النحيلي مُمَدَدٌ على الكنبة ، شخيره بطئ .. كأنه ثعلب .. وعلى كنبة مقابلة عبد الباسط بشخيره العالي لم يسمع نداداتي في الطريق .
وجدتني أتنفس هواء الصباح وحدي .. أربط الجاموسة في مدار الساقية وحدي .. قال :
- معقول يا ناس ولادى ست رجالة .. وأنا راجل عندى أكتر من سبعين سنة
زوجت ولاد حبيبة كلهم واتنين من ولاد أمينة
ومفيش ولد واحد يسند ضهرى
كأنهم شوية قمح بعترتهم فى غيط غريب .. نبتوا بعيد عن أرضي ، ما بين سينا والجيزة والزقازيق وطاروط . كلهم كارهين الفلاحة" .
والنحيلى لم يزل يبحث آخر الليل عن كنبة ، يتمدد عليها ككلب ضال.
وكأنه يقول،
(أنا والأرض
في البدء والمنتهى .
وجهان متحدان .. نخرج عيدان الذرة ، البرسيم .. سنابل القمح .. الأرز .. اللوبيا .. الفلفل .. والباذنجان
نروي .. نزرع .. نمتلئ بالماء والذكريات .. يا أولاد .
أنا هنا وحدي .
حتى واتته جلطة فى المخ ، فظنوا أن مس من الأرض مسه.. فجاءوا بالمشايخ وقرأوا فى أذنيه القرآن .. ولجأوا للتعاويذ والرقى .. ثم أرسلوا فى طلب بعضهم ، وتحلقوا حوله والحزن يدفع بهم إلى كل صوب ، ماعدا التفكير فى الطب . ربما هذا الحل (الطب) لم يكن قد اعتمد بعد . وقال الطبيب :" جلطة .. ولو جيتم بيه من يومها كان شفاه ربنا " . ولإحساسهم العبقرى

بالذنب كانوا يرسلون له المساعدات الشهرية ومنهم من يأتى له بالحلوى ، وهو والشهادة لله كان لم يشتك من شئ - فى " معاشه " حتى مات بعد ثلاث سنوات تقريبا - سوى تعطل شبه دائم فى الذاكرة والنطق خاصة الأسماء .

❖ ❖ ❖

: المزرعة .
: أبيع المزرعة ؟
: وتقدم طلب للشئون
: طب ليه ؟؟!!!!
تبقى المتعهد الوحيد لتوريد الفراخ فى الجيهه كلها
: دا يعني شرا مزارع ، مش أبيع مزرعتى
انفرج وجه زاهر لكلمات مخمخ الهادئة ، أنصت جيداً . أيقن مخمخ أن زاهر سلامة مازال فى بداية اللعبة . فقال "أعلمه اللعب .. ويبقى واحد مننا "
اعتاد زاهر شرود مخمخ فانشغل بالتطلع إلى ميه البحر تحت ضوء القمر الواهن وكوبري طاروط الأسمنتي خال تماماً ولسعات برد شتوية تتسلل إليه
قال عطية مخمخ : أنت ح تبقى مسئول عن التوريد بس
: والفراخ ؟؟
: من المزارع الجديدة .
: طب وليه ما تساعدونيش .ونبنى احنا المزارع دى
: كده ما تبقاش ذكى يا بن الحاج سلامه .
أحس زاهر أن تذكيره بأبيه اللحاد ، لطمة مقصودة وأنه وجب عليه الموافقة بعد النظر لعيني عطية مخمخ اللئيمتين قال لنفسه " أنا الرجل بتاعهم .. ولما أكون مورد لكل فراخ وبيض المزارع فى الجهة بحالها .. .." وشرد قليلا ، حتى غرق فى بحر أطماعه .. ولما هزه عطية مخمخ
قال : موافق
: كدا أنت زاهر سلامة
:كده تبقى .. زاهر الطاروطي
ضحك مخمخ عاليا ولم يسمعه أحد ، بانت أسنانه المتآكلة

تحت ضوء القمر صفراء .

❖ ❖ ❖

تركت الجاموسة المربط بغيط الشيخ عبده / أبى مما اضطره إلى خلع "الرتعة" التى تمسك بأرجلها وإخفائها فى الدار بعد أن تمالكت صحتها من الجراحة التى أجراها لها الدكتور البيطرى .

هجرت المربط والشيخ

لم يتمكن أحد - حتى أمى - من إيقافها عندما جرت أو إرغامها على السير وقتما تقف ، متلفتة حواليها . دارت العيال وراءها فى كل مكان وتذكرت العجائز أيام العُمدة الكبير وكيف ترك جاموسة السيد عودة طليقة تأكل من خشاش الأرض .

قالوا : دا دليل البركة .

كل الأنظار تحلقت حولها ونظرت أن تطير أثناء الليل ولما لم تطر . دعوا الله أن يخفف غضبه عنهم كي ينالوا البركة منها.

وسط الجرن المواجه للمدرسة الإعدادية والمقام والملاصق لدار بليلة . أقامت الجاموسة .

ولم تجد معها محاولات أمى المستميتة إعادتها ، لم يعلق أبى الشيخ عبده ، فقد اعتاد أمورا كهذه وتناقلت طاروط سيرة الجاموسة والحشرات الزاحفة . أحس أبى بنظرات المهابة حينا والسخرية أحيانا . وسألني زملائي فى الجامعة عن سر الجاموسة وعاداتها الخارقة . كأن "سماعين القلش" يغذي العقول بخرافات لم أسمع بها عن أحوال جاموستنا وكله من مصادر مسئولة ، حتى أنني تساءلت عن هؤلاء المصادر ؟ ولما لم أجد إجابة ، ذهبت إلى الجرن ، تطلعت لها من بعيد . كانت واقفة منذ أيام وسط الجرن ولم ألاحظ أي مصدر مسئول وإن لاحظت انفتاح مقهى جديد ببيت الحاج أبى شامية وبائعي السندوتشات والكوكا كولا والقصب واللب والدجاج المنكمش على وشك الموت ولاعبي الورق والبخت واليانصيب .

تحول الجرن إلى سوق كبير تخرج إليه عيال المدارس ويتوقف الغادي والعائد من الغيط . بينما الأكف الحامية فى المقهى تلقى بزهر الطاولات وتحبط الدومينو فى عُنف

بالطاولات ولم تتوقف المشروبات والمراهنات ولم تزل الجاموسة وسط الجرن واقفة

❖ ❖ ❖

تتبدل الموضوعات والحوارات عن حال طاروط
وعن العمدة الجديد - الذي خلف العمدة الصغير - والعمر الذي يمر كقبض الريح وخيبة العيال وغلاء الأسعار .
يسألون بحسرة : راحت فين أيام الرطل والأوقية
: راحت لما جالنا الكيلو .. وبقى للبيضة تمن
: ملعونة البيضة وتمنها

❖ ❖ ❖

ذاكرة طاروط الحديدية ، لن تنسى بسهولة العمدة الجديد . لأنه لم يزل قائماً بينهم .
يأمر "بسفلتة" الشوارع ، التى رصدها فى أجندة خططه - قبل رحيل العمدة الصغير فجأة - .هو الآن يشق ترعة جديدة تأخذ من ماء الخليج لتروى حوض الفلاحة الذى حاصرته المبان العشوائية .. لذلك فقد أصدر قرارا بموافقة مجلسه - الدائم من الحاج أبوشامية وعبدالله أبو متولى وسعيد الجمل (الأخ الأصغر للراحل سماعين الجمل " أس " الفساد ورأس الحية أيام سرقة أم قورة بيضاء) الذى صار بقدرة قادر شيخا للخفراء ؛
ووافق المجس فى جلسته المتأخرة جدا وقبيل حلول أول ضوء لنهار جديد على منح العشوائين فرصة ذهبية فى إدخال عدادات للكهربا ، وأخرى للماء [خلسة من وراء ظهر الحكومة على أنم يبدأ أول عشوائى مساء الخميس وينتهى الأخير قبيل حلول فجر السبت .. عندئذ لن تتمكن المصالح العامة فى مراقبتهم وعقابهم] وأعقب الك ببناء كبار من الأسمنت وأخرى من الحديد تربط العزب والكفور بالطرق السريعة وتيسر وسائل الاتصال والتواصل .
كما وافق على زيادة عدد المقاهى ، تعويضا للعاطلين فى ايجاد مثوى لهم ، للترفيه عنهم كما ييسر لصاحب المصلحة انتخاب أقوى العواطلية ، وأشدهم فقرا .. وأطولهم صبرا فى المطالبة بأجر يوميته .. كما وافق على منح المتحمسين سلفا شخصيا منه وذلك لتربية الحيوانات ، والدجاج البلدى ،

وزراعة القصبرة كيلا تقرض ويمكن للشباب تصديرها للمدن المحرومة منها ولم يدخل ضمن المسموحات طبعا فتح البوتيكات التى تعمل على بيع الملابس المستوردة .. بل شجع تجار القرى والعزب المجاورة - لأول مرة - على غزو أسواق طاروط بالملابس الكانتوه (وقد برع الأخوة الصعايدة المهاجرين فى ذلك تماما) وكانوا يستأجرون من صبيان طاروط من يجأر طوال النهار مناديا "بتلاتة ونص .. تعال وبص " - كان ذلك طبعا قبل موجة الغلاء التى اجتاحت البلاد كلها ؛ فصار النداء "بسبعة بس ..تعالى وبص " .

وقال بفمه المليان شجاعة أيام الانتخابات .. بأنه فتح لهم مجالات جديدة للرزق ·والعمل بعد التسكع والتنبلة والاتجار فى الممنوع .. حيث أجرى التعديلات ،تقضى بمعاقبة الواقفين من أبناء طاروط على قارعات الطرق وبجوار الكبارى يشاغلون البنات ويسخرون من كبار رجالات طاروط ؛ وحفاظاً على جمال البلدة انطلق الخفراء يسحبون عربات الفاكهة أو الدجاج - طبعا دون علمه - ويزجون بأصحابها فى "أودة "التليفون .. وحين يقرصهم جوع السهر على حماية أمن وبهائم كل طاروطى طبعا .. وأثناء الليل . يذبحون الدجاج ، ويستمتعون بمذاق الفواكه المتنوعة .

كما ذكر عواطلية الكوبرى عنهم .

❖ ❖ ❖

العمودية

لانتخاب العمدة فى طاروط تقاليد خاصة ، تعود الى التقليد العربية الخالصة وذلك بأخذ المبايعة - مع إدخال بعض التعديلات التى تيسر الأمر ، وتتماشى مع معطيات العصر - حاول الغرابوة اختراقها منذ مجيئهم كرعاة ينصبون خيامهم ويرتحلون إلى أن استأجر منهم بعض العاطلين، ومنحهم تلك الأرض ، كى يبنوا فيها بيوتا لهم مقابل حمايتهم له ، وحراستهم لمصالحه فى تلك المنطقة الجرداء عندئذ ؛ ولم يحالفهم أبدا الحظ بالنجاح فى الوصول إلى مقعد العمودية بعدما بعثوا منهم من يقيم بأرض طاروط مثل " عطيه مخمخ وعلى الأصفر " يحاولون طوال إقامتهم بالعزبة استمالة أى طاروطى حتى لو كان طفلا أو

امرأة عاجزة فى وضع لبنة ، مجرد لبنة صغيرة فى بناء صرحهم المتخيل؛ حتى أنهم بنوا دوارا كبيرا واستنهضوا ابنهم الضابط فى الحكومة لتلبية مصالح صغيرة للبسطاء .. وصاحب ذلك دعاية تم تدشينها من خلال ما يسربه فتحى الأقرع إلى مرتاديه طلبا للحشيش ، من شباب وصبيان البلدة "بأنه واصل قوى" ثم تنتقل الدعاية إلى مجلس العم حسنى ، فيتحدثون فيها بصوت خفيض يحمل فى قراره السخرية (على الرغم من كونه هو والعمدة الجديد أبناء عمومة) لكنها أبدا لا تصل إلى المجالس المؤثرة كمجلس المصطبة مثلا.

وعادة ما يكون الانتخاب عبارة عن تجديد للثقة بعدما يحضر المأمور وبعض من عساكره لإجراء انتخاب حر ومباشر أمام كل طاروطى .. يكتفى المأمور بحضور كبير كل عائلة وابنه الأكبر .. وتتم المبايعة حسب التقاليد الطاروطية المتوارثة بحيث لم تخرج أبدا العمودية من دوار عائلة [القلش] طوال عشرات السنوات السابقة وربما آلاف السنين .. ولا ينكر أحد فرحة وسعادة البلدة بأن صار لهم عمدة منهم ، فهم ليسوا قلة هزيلة كسكان العزب (بلا عمدة) ؛ لذلك يتطوع المحبين بحمل العمدة الجديد من أمام دواره وعلى مرأى المأمور وبمصاحبة عساكره وبنادقهم ، ويتحركون عبر شوارع البلدة الرئيسية حتى يصلوا إلى كوبرى الغربى ويقفون هناك قرابة نصف الساعة طبلا وزمرا وصياحا وترتجل خلالها الشعارات ويسطع بريق الأصوات المؤيدة بحماسة منقطة النظير فى وجه شمس طاروط الشتوية ، بريق مبالغ فيه طالع من حلوق الطامحين ، .وتطول وقفة الموكب حسب قوة احتمال الرجال المتسابقين فى نيل شرف حمل العمدة على أكتافهم ، وقفة تطول بالطبع نكاية فى كل ناس الغرابوة الذين يكتفون بمتابعة مظاهر الاحتفال من فوق سطوح دورهم .سباق وتلاحم ، وأكتاف هدها الزمان ولم تيأس ، فمن غير المعقول أن تنسى مقعدة العمدة وبلغته أنها لامست فى ذلك اليوم المشهود ذلك الكتف الهزيل أو ذاك الذى يتهالك - الآن - إعياء من ثقل وزن العمدة ، ولكنه يصرخ رافضا عندما يحاولون إراحته من حمولته ؛ .. ثم يأخذ الموكب طريق العودة العام واصلين إلى

كوبرى طاروط .. مسافة نصف كيلو ذهابا وإيابا والعمدة فوق أعناقهم ، يهلل ، ويرفع بإباء شديد يده البيضاء ، لهم ، ويبتسم .. ومن حواليه رجال ونساء وزغاريد ورقص بهيج ؛ أجساد يحرضها ويدفعها بقوة ؛ فكرة أنهم انتصروا على مطامع عزبة الغربى وظل عمدتهم رغم أنف الحاقدين وأولاد الكلب قاعدا على قلوبهم على طول الزمان .

ذاكرة طاروط الحديد ، لن تنسى بسهولة العمدة الجديد . لأنه لم يزل قائماً بينهم .

يسفلت الشوارع التى أعدت من قبل . أيام العمدة الصغير . ويشق تُرعاً جديدة وكبار من الأسمنت وأخرى من الحديد تربط العزب والكفور بالطرق السريعة وتسير وسائل الاتصال والتواصل .

ولم ينس الشباب القاعد فوق جدار الكوبري ورؤوس الغيطان أنه فتح لهم مجالات الرزق والعمل بعد التسكع والتبلة والاتجار فى الممنوع .. حيث أجرى التعديلات ، ورفض وقوف أبناء طاروط هكذا على قارعات الطرق وبجوار الكباري بين أيديهم بضاعات رخيصة كالمتسولين وحفاظا على جمال البلدة انطلق الخفراء يسحبون عربات الفاكهة أو الدجاج _ طبعاً دون علمه _ ويزجون بأصحابها فى أودة التليفون .. حين يقرصهم الجوع أثناء الليل . يذبحون الدجاج ويتكرعون بعد مذاق الفواكه المتنوعة .

ذكت طاروط عنهم .

بأن حملاتهم كانت تشتد أثناء المواسم وأيام الخميس _ بالذات _ أما أيام الأعياد فإنها توجه لبائعي الملابس المهربة من الجمارك ز تتبختر عيالهم بالملابس الجديدة مغمورين بالسعادة والرضا من أهاليهم . يحف الخفراء سعادة بالغة بأهمية دورهم فى الحياة . صحيح أنه لم يكن فذاً كالعمدة الكبير .

ولم يرتكب الحماقات ، أو تلوك الألسنة غرائب عاداته ، أو يغرق فى بحر الشرور وبفمه خرطوم الجوزة كالعمدة الصغير إلا أنه كان رياضيا يحب لعبة الاستغماية

يستطيع أن يمسك أثناء إغماض عينيه المختبئ وراء مراحيض الجامع الكبير واللئيم والواقف وراء الحوائط

المتهدمة . يجذبه بيديه الخطافية ويسكته عند الأمه . طبعاً حين كان صغيراً .

ومن عاداته التى لا يمكن إغفالها ، أنه كلف بعض المستظرفين بأن يجمعوا له النكات الوقحة التى تنال منه . ويرددها على مسامعه دون خوف .

لكن هل يتصور أحد بأن واحداً من المستظرفين لما نفدت النكات من أفواه الناس ، قرر أن يؤلف هو تلك النكات حتى لا تنقطع أرزاقهم _ ويحرموا من رؤية وجه العُمدة البشوش _ ووقاهم الله حدة مزاجه المختلف . حيث يضربهم بالكف خلف رقابهم و"بالشلاليط" .. وهم يتدافعون فرحا وسعادة بأن لا مست يده الجليلة أجسامهم الممتلئة .

يدب بقدميه على أرض طاروط ، راكباً مع الفلاحين حميرهم وما غيرت الشمس لون بشرته البيضاء أو تفصد عنه العرق . يحادث الصيادين تحت الكباري والبناءين فوق سقالات الخشب دون تعب .

فى البدء ظن آل طاروط أنه يتقرب منهم كي يبذر بقلوبهم أشجار المحبة ، قالوا لبعضهم : الأيام سوف تكشف انتهاء البذور بجيوبه وأنهم لم ولن يحبوا غير أنفسهم ومصالحهم ، ولن يقربوا أشجار المحبة .

غير أن صبره تجاوز ظنونه ومخاوفهم ، واستطاع أن ينال رحيق محبتهم ومحبة العزب والكفور المجاورة .

ذلك انه لم يترك واجبا لم يقم به حتى صار أخيهم الأكبر . وصارت طاروط مزارهم ولياليهم الفاتنة . واكتشفت طاروط أن كل واحد يستطيع أن يثرثر بما يحلو له فى حق الحجاج ، بل وحق العمدة ذاته بدون ان يناله أذى . حين غد آمنوا بحرية الرأي وان الحياة تبتسم لهم ، فابتسموا كعمدتهم الجديد للحياة

❖ ❖ ❖

شائعات

- عبد الحليم باشا يهدد بسرقة الجاموسة
- صور الحاج زاهر ابن اللحاد تملأ الجرائد
- سوف ينتقم عبدا لحليم باشا من الشيخ عبده ، ومن الجاموسة " اللى كانت سبب بهدلتهم فى المركز " ويذبحها

- مستر القلش يتوعد طاروط بكارثة إذا أصاب الجاموسة مكروه

- الدكتور هاشم ووحيد وغيرهم يجتمعون بجمعية تنمية المجتمع ، والذى تحول الى ما يشبه مقهى عمومى للمعاشات ومثقفى البلدة ، وغير مسموح فيه بالدمينو والشيشة وان سمح فيه بلعبة الشطرنج - فقط - من أجل الدكتور الدكتور هاشم .. وقد تمكن مشكورا من هزيمة المهندس نشأت والدكتور زكى البيطرى ، كما هزمنى أكثر من مرة كان يتوقف عن اللعب ويتراجع للوارء ويقول لى : " كل إلى ناقصنا الجدية .. ناخد كل شئ بجد .. لو لعبنا بجدية .. نقدر نشتغل بنفس الجدية ونتقدم .

❖ ❖ ❖

حين نهضت آمالٍ أمام عيني زاهر سلامة ، ظن بانٍ النار خمدت وصارت رمادا . كيف تسحبه الأيام للوراء ، دائرا وسط شوارعٍ طاروط ، يتنطط بقلب فرح ولا يدري ابن اللحاد كيف هبَّ فجاة ، أغلق المذياع . ثم تفل على صور باهتة . لم تعد - الآن - صالحة للحياة .

وأفاقه ولده " سلامه الصغير " عندما طلب منه مفاتيح العسيارة الواقفة كعروس أمام محل الخردوات ؛ أول مشاريعه وأحبها لقلبه .. ربما بسبب الموقع .. حيث الكوبرى والذاهب للمدينة والعائد منها .. المدخل العمومى الراصد لمقياس الحركة وقدوم الضيوف وهناك بالفعل من يقوم بهذا الدور بدلا منه مثل العزيز " سعيد جنزير " .. و ....)

حين نهضت آمالٍ أمام عيني زاهر سلامة ، ظن بأنٍ النار خمدت وصارت رمادا . كيف تسحبه الأيام للوراء ، دائرا وسط شوارعٍ طاروط ، يتنطط بقلب فرح ولا يدري ابن اللحاد كيف هبَّ فجاة ، أغلق المذياع . ثم تفل على صور باهتة . لم تعد _ الآن _ صالحة للحياة

❖ ❖ ❖

مهما تبدلت أحوال الجاموسة ، ارتحلت أم أقامت .. طارت أم حطت . نامت أم صحت . أم انفجرت ميتة ليست أكثر من جاموسة مُجردة فى عيني الدكتور هاشم وبعض من شباب

طاروطي الذين حطموا الإطار ، وارتحلوا إلى طلب العلم بالمدن أو سافروا للبلاد الأخرى ، فأيقنوا أن البركة فى العرق . وأن اللبن المائل للاحمرار ضار بالصغار . وأن الحاج أبو شامية منتفع بالمقهى ولاعبي الورق وبائعي الدجاج الفاسد والحواة كلهم دجالون يتاجرون بكل شئ .

دار الكلام عن ثقل الظلام فى البلدة ، مما يحيل دون رؤية الأشجار البعيدة ، فتبدو كبقايا مردة هبطت مع دخول الليل ، أو حلول الجاموسة فى الطريق الترابى ، على مقربة من زمام طاروط ، وكان البعض يستمتع باسترجاع خطواتها الوئيدة ، ووميض النور المنبعث من قورتها البيضاء .. فى الواق كان رواد المجالس يقدحون مخيلاتهم فى اضافة الجديد كل ليلة .. فيتزايد الأعداد وتهبط بواق المعسل ويمتد السهر حتى الفجر .. وحتى يحل عصر اليوم التالى تكون الحكايات الجديدة قد تخمرت وصار لها رائحة نفاذة . مما يجعل نزول بليلة إلى أرض الحكايات بمنجله كى يقتص منها الهالوك ويعرضه على الحاج صلاح أبومتولى ، أو الشيخ عبدالوالى وهما من أهم ركائز جلسات المصطبة .. ولا مانع من الإضافة من قبل بليلة قبل عرضه لتقرير البارحة .. أحياناً كان يتوقف الحاج صلاح ويوجة نظرة يعرفها بليلة تماما ؛ فيتراجع عن بعض المبالغات التى ضمها كواحشى للمتن الوافد من رواد المصاطب الأخرى ؛ أحيانا لما تتعاظم الأمور ولا يصل الحاج صلاح الى اتخاذ رأى فيها ؛ كان يخطو ما يقرب من أ؟ربعين مترا فى الغيط ، حتى يصل الى خص ابن عمه الأكبر الشيخ عبدالوالى . لأن قدمه عزيزة على المصطبة . فيفرد الموضوع، بتأن على حجر الشيخ ليمنحه الرأى السديد فى كلمتين .. هنا يكتب العلاج الناجع لأية حادثة فى غيط أحمد على المطل على رشاح الصرف ، لطاروط ، وللقرى والعزب المجاورة .. أما عندما يشم فى الكلام رائحة "شياط" . بمعنى أن ذلك الحدث ليس أكثر من شائعة . يعرض وجهه عن ابن عمه بدون تعليق .. لكن ابتسامته الصغيرة كافية كى يفهم أن حلوق المتشدقين هذه المرة قد حبك الشائعة وأنه ثمة شخص ما . صاحب مصلحة . وراء ترويجها ، كان فقط يقول لابن عمه مؤنبا فى النهاية " ازاى

تعدى عليك يا صلاح ؟؟!!!"

❖ ❖ ❖

[المصطبة مرة أخرى]

فوق الحصير المفروش يتدحرج الكلام عن إرادة الله أمام مقام سيدى أبى منصور ، لا يدرون كيف تحضر سيرة صديق وموته بخسة بإيعاز من سماعين الجمل .. قال بليلة : منه لله نافخ الكير والهباب .. حسونة .

هز الشيخ النشار رأسه بحسرة بينما ظلت مسبحته تتابع الدوران بين أنامله الواهنة ، تساءل الحاج صلاح أبو متولى أثناء مروق حمار آبق لا يلحق به صبى صغير ، موجها حديثه للفراغ وبليلة بجواره مغمض العينين : معقول أن زاهر ابن اللحاد يوفى بوعده للدكتور هاشم . لم يرد بليلة والحاج يقول : ماظنيش .. يستصلح أرض فى الصحرا ويشغل ولاد البلد العواطلية . بليلة يفتح عينه بتمهل وفمه ليتثاءب ثم يقول : تقصد أنه ملعوب من الغرابوة يا عم صلاح ، الذى كان يتابع مشية الشيخ عبالوالى الوئيدة ،بعدما أصابته جلطة فى المخ ، هو ذاهب إلى الزاوية قبل صلاة المغرب بكثير ، قال لنفسه " يا ترى ح تكون أخرتنا ايه .. مين كان يصدق !! " كان متأثرا بحق ، حتى أنه انفصل تماما عما يحكيه بليلة من أخبار.

وعندما يصر بليلة على تسلية الوقت ويقلب الأوضاع كما اعتاد ويمصمص شفاهه ؛ يسكته الحاج صلاح قليل الكلام : نقول طور .. يقول نحلبه ، والمزارع ؟ وعامر أخوه ؟ والفراخ المرضانه ؟.. دى أدوار يا سيدى .

عندئذ يكون زاهر ابن سلامة اللحاد ،قد وضع فوق رقبته عباءة بنية ،ثم يلمع حذاءه منطلقا إلى عطية مخمخ .

فيما بعد أيقن رواد مجلس المصطبة وأبو منصور يشهد بذلك أنهم كانوا يعلمون أن سماعين الجمل شرب دم الحيض بيد نافخ الكير وظل أربعين يوما ببطن مفتوحة ترفض المخيط ، ومات يوم عودة بهائم أم العلو .

كما تذكر طاروط عنهم أن القدر نفض جناحيه وأوقع ابن سالم الحمار فى هوى أزهار أخت زوجته ، ثم طلق زوجته ليفوز

بمن يهوى . أحرقت أزهار نفسها ندما ، حاول ابن الحمّار دخول الدار وكانت أزهار أحكمت المزلاج من الداخل عليها حتى تمكن من "الناروزة" فمات معها .

قالوا أقدار . ونفض بليله كفه من بقايا النميمة عندما كانت تسقط ابنة عبد الحليم باشا من سطح الدار حيث تراجعت للوراء متمايلة مع أغنية قلع الطاقية الولد وبص ليّه .. فانزلقت بقدمها التى تحمل آثار الحناء منذ زواجها .

من فوق القش الذى يعرش السطوح

كان الشيخ عبده يتنهد ناظرا للسماء ويقول بلا تشف (ولا يظلم ربك أحدا). بينما كنت أهز رأسى وأمضى على حافة الصراط بين الرغبة واليقين بأن طاروط بيضة نعامة كبيرة ألقى بها صانع الفخار فتدحرجت زمنا طويلا حتى استقرت هنا ثم نبت فيها العشب ، واخضرت ، بالحناء والزعتر وخرج أهل طاروط يتشممون رائحة الحياة ، يبحثون عن البهائم ، يسرون فى أذنها بسر الاخضرار والبرسيم فلم يكن العلاف اكتشف بعد . دارت الحياة دورتها فصارت طاروط عائلات ثم عشائر وقبائل .. ولما خافت أن ينخر فى عظامها السوس قالت : لابد من كبير يدبر لنا الأمور . فكان العمدة .. اختار شيخ البلد وشيخ الخفراء لمساعدته وتيمنا من آل طاروط بالمشيخة ..صار كل صغير شيخ وكل معتوه يأمل فى المشيخة .. فاشتدت قبضة شيخ البلد على البلد .. وشيخ الخفراء على الناس .. فما عادت دجاجة تخطف ولا ماعزا تسرق وإن كانت تذهب برضاء أهلها وإذنهم إلى موائد البيوت العالية ذات الأسوار والخدم .

اغتاظ المعدمون والأفاقون وساهرو الليل قالوا مع الأيام لا بد أن تكون لنا وظيفة كشيخ الخفراء وشيخ البلد فى أوقات النشوة والكيف قالوا نكون أيضا مشايخ ..

لما هفهف عليهم الليل بنسيمه نسوا لقبهم الجديد .

ذات مساء حددوا الاسم والدور الهام لجماعتهم قالوا نكون "شيوخ منسر".. دورنا إهدار كرامة شيخ الخفراء وخلعه من المشيخة .. وأول عمليات شيوخ المنسر كانت سرقة البهائم .

❖ ❖ ❖

غرب طاروط ،مقام كبير ذو سلالم رُخامية ، ومدخل ذو بوابة من الحديد المفرغ .
حضرة ورواق .
صندوق للنذور ، مُصلى .
طابقين .
سلم خلفي للسيدات .
كل ذلك تم بناءه فى يومين .
كأن طاروط أغمضت عينها وفتحتهما على المقام الجديد .
اعتدلت العربات ، وعبرت الكوبري الجديد واصلة إلى مقام سيدي المبروك " شي لله يا سيدي المبروك "
لماذا اختار طاروط بالذات ؟
لم يرد السؤال على خاطر أحد .
لكن ظلت سيرة الحاج زاهر الطاروطي فوق كل لسان .
قيل : جاءه الشيخ المبروك فى المنام . أنبأه بأنه سيحط بطاروط بعد يومين " أقم مقامى يا حاج زاهر .. جملّه .. ووسع فى المقام وسع الله عليك "
هكذا صلى أهل طاروط العشاء، وبعد الصلاة دعوا لأبيه سلامة اللحاد ، وانتظروا - بنفاد صبر - هلول الموكب الطائر .
موكب سيد المبروك .
تبادرت أسئلة المتشككين : و"الولى" الجديد منين بالظبط ، واشمعنى بلدنا بالذات اللى اختارها ؟؟ يمكن زيادة تقوى عند الحاج زاهر .. لا حاج ولا ديالوا وشاف الكعبة بعينه .. دا يمكن لو راح ربنا يرجعه م السكة .
أما السؤال الذى طاف بالأذهان ، هل يتنافس سيدي أبو منصور مع سيدي المبروك ؟؟
قال أهل المشورة :
بلاد تانية فيها أكتر من ولى .. وأكتر من مقام .. يمكن ربنا رايد لطاروط زيادة البركة.
: دى ح تبقى بركات ياما
فى غمرة الانتظار ، حول المقام الجديد
دعى أهل طاروط الله أن يهون بهلول ضوء النهار الجديد .. موعد مجئ الموكب .

دخل الزريبة
ولما لم يجد جاموسته
وكانت الدار كما هي مغلقة
بلا نقب .. بلا صراخ
تمالك نفسه ، وتطلع للسماء وقال : تلك مشيئتك.
شارك كل طاروطي فى انتظار الموكب ما عدا القلائل المتشككين فى زاهر ، ومشاريعه ورؤاه وأحلامه .على الرغم من بناء المقام وانتصابه أمام أعينهم فى بضعة أيام.
أدلى كل ذي رأي برأيه وكل ذي حجة بحجته . ولم ينقل الشيخ عبده خبر اختفاء جاموسته أم قورة بيضاء لأحد .
ألمّ الحزن والهم بقلبه ، وأحس بخلو الدار من بركتها ، تراجع عن نداء أمى من تجمع السيدات ، ولم يقل لجدي الشيخ عبد الوالي الذي كان جالساً وسط أهل المشورة والرأي.
دخل الدار وتوضأ من طلمبة الماء
صلى لله ركعتين
دعى ربه فقال :
" يا رب .. تركت الجاموسة داري ولم أشتك وعادت بمشيئتك .. إن كان اختفاؤها خيراً فأنا بالخير والصبر أولى .. وإن كان ظهورها شراً ، فقنا يا رب بفضلك شر تقلب الأيام .. "

❖ ❖ ❖

نعست طاروط بعد ليلة ساهرة فى انتظار النهار الذي لم يطلع ، حملت بموكب طائر يتعلق به كل ذي حاجة . وكل طالب مغفرة
قالوا قبل أن يتخطفهم النوم : مؤكد أنه فى الطريق ورأوه يحل بديارهم وعيالهم وبهائمهم لذلك ناموا متعبين ، حتى يجئ النهار مُسرعا .
هكذا حضر سيدي المبروك وكل طاروط ناعسة .. مرَّ مُحوماً فوق كل دار وكل بنية حمام .
أول وصوله. توقف موكبه الطائر فوق مقام سيدي أبو منصور.. وقف وأطال.
ولم يكن أحد من آل طاروط صاحياً سوى الحاج زاهر وبعض صحبه ، فأعادوا عليهم ما جرى .

هكذا سكن الشيخ الجليل الطائر ذو النعش المزدان بعقود الفل والياسمين وروائح البخور والمستكة والزعفران .
مقامه المعد غرب طاروط فى وقت .
بين الفجر والشروق .
بين الموت والحياة
بين القول والسكوت
وقت ليس كمثله وقت
كان على آل طاروط أن يناموا
وكفاهم الله متاعب الأنظار.
وكان الحاج زاهر ابن سلامة الله يدفن ببطن المقام الجديد بركته الجديدة

❖ ❖ ❖

هيـــت لـــك

❖ دم افرنجي

! يا با
لما انزرع الدم ف شرايينى
وطلبت يكون لك واد من دمك
فعلا
كان نفسك واد من دمك
يحمل اسمك
وفصيلة الدم .. وبس ؟
ولا عشان يفضل من ريحتك حد
يسب الدنيا
ويكره نفسه
ويكره يوم ما جابوه !
حاجات مفقودة كتير

(عزت إبراهيم)

تفقت كالكتكوت من البيضة ، وراءها رجال عزبة الغربي يسيرون بدأب ، آخذين طريق كفر الجندي مخافة العيون الساهرة ، خاصة عيون المشايخ العائدين من قراءة سهرات رمضان .

عاد أبى من نفس الطريق ، بعدما انتهى من سهرته الرمضانية تفكر فى حال عياله .. كبروا نعم ، لكنهم محرومين ، من الأرض والوظائف . الحياة لم تفتح لهم ذراعيها . أحس أن هما ثقيلا حط بصدره ، فتطلع للسماء - وحده - وكان للسماء أقرب ! أرزقنا يا ألله جاموسة الخير والبركة - سبحانك -

تمنع ولا راد لمنعك .. تعطي ولا حد لعطائك !

انتقلت أم قورة بيضاء من يد ليد ، دونما تلمسها يد ، تتطلع الوجوه لمحياها "وطلة "النور من قورتها يهل - بسوق الأحد - أقصر من أمها قليلا ، بذات الظلف الحاد القائم فى وجه السماء ، وبنفس الشعر الأسود المتدلي من البطن كبعير صغير لم يمسه مقص .

ممتلئة بلا امتلاء .

مقبلة بلا رعونة .

طائعة بلا انقياد .

صغيرة الرأس كعروس

شيطانة مسها السحر والجمال بكل آية

من رآها توقف وقال : هى دي

لكن صاحب النصيب كان معلوماً

بجوارها الجاموس يباع ويشترى

هل منحت بركتها لحركة البيع والشراء ؟

أم استفاق الكسالى ، فهرعوا اليوم إلى سوق الأحد "ببردين" .

فى ظلام الطريق بكفر الجندي ،

إلى نهار الأحد بسوق بردين ،

إلى نهار الأربعاء بسوق الأربعاء .

من رجال الغرابوة ، إلى "التاجر الأشقر" ،

ومن الأشقر إلى تاجر المواشي بطحلة ،
إلى نظيره بسوق الأربعاء.
دائرة جهنمية لا تنتهى .

❖ ❖ ❖

فى اللحظات الأخيرة . طار ملاك الموت من فوق دارنا ، بعدما رفرف بجناحيه وحوّم فوق رؤوس إخوتي .

أمى فى الظهيرة سلقت دجاجة ، لم يهف قلبي إلى الدجاج الأبيض ، أو أي شئ أبيض . تناولت البامية الخضراء مع أبى- "طبيخ" اليوم الفائت . ولم أعرف بأن أمى اشترت الدجاجة من دكان ابن سلامة اللحاد .لم النصح مجديا.. سلطان الجوع آسر.

تطلعت لأمى وإخوتي بعد العشاء . تمايلوا إعياءً وجروا إلى المرحاض أو وراء الدور أمسكوا ببطونهم ، واصفرت الوجوه ؛ بأظافرهم حفروا تراب الدار ألما . أمعاؤهم تتلوى وتطفح بلا توقف .

أيقنت بأن الموت يحوم فوقنا .

لم أعد أخاف النعوش ، تطلع من الدار الواطئة مصحوبة بالعويل ، وقبل الانحراف قليلا إلى شارع "التُرب" ، تتوقف السيدات عند آخر الدور . بعدما ينهرهم العارفون بالدين ويظل موكب المشيعين من الرجال سائرين فى سعي صامت ؛ ويستمر دعم الحاج زاهر الطاروطي وكبراء البلدة لتجديد المقابر وتعلية البناء .

اليوم فقط أيقنت : بأن الحاج زاهر وراء كل تلك النعوش ، وراء الموت المتربص بكل دار . استردت أمى عافيتها بعد أيام وبعد غسيل المعدة وعاد إخوتي للحياة ما عدا الصغيرة التى لم تحتمل ، فاحتواها أبى بين ذراعيه - وحده - وأودعها حفرة مظلمة .

ذات مساء ذهبت إلى الدكتور هاشم الذى قابلني بوجهه البشوش ، لم أشرب الشاى ،لم يزل تصلب ملامحى ، باديا ، لم يتزحزح ، وضيق حبيس ، يترنح أمامى سكرانا بخمر الضياع . سألني عن الحال .. هززت رأسى " عادى " . وددت ساعتئذ ، لو أضرب حوائط الطين لتخرج عن صمتها الأبدى ، ولاحظنى

فقال بهدوئه المعهود : إشرب الشاي .

تحدث عن المحاصيل المهجنة ، وكيزان الذرة التى استطالت بلا طعم . لم أعلق . أضاف : الخصوبة الصناعية لها آثارها السلبية . سحبت طرف الكلام ودفعته نحو ابن اللحاد .. صمت طويلا ، علت رشفاته للشاي ، واستقرت متاعبى ، وربضت كذئب جريح نظراته الساهمة ، لاطفت الجرح .

قلت : الزمن بقى زمن الحاج زاهر .

قال :بقى زمن الحيتان .

وأضاف : لولا الأسماك الصغيرة والأعشاب البرية والهالوك ، ما عاشت أسماك القرش . لم تحدد كلمات الدكتور هاشم أسماء . استرجعت غضبه القديم على عامر ابن سلامة وعادل محمدي الجزار ، أبناء جيلي ، أضف إليهم المتشدقين بالكلمات الرنانة بجمعية تمية المجتمع منذ عشر سنوات . اضمحلت الصحبة ، ابتلعتها شعاب طاروط والمدن الأخرى ومحلات الملابس والبوتيكات والدجاج النافق والحاج زاهر ، سنوات وأنا على حالي كالقرد يتقافز من شجرة لشجرة بلا عمل ؛ انتهت أيام الجامعة وبدأت المشقة .حتى سافرت لمستر القلش ؛ قلت : والعمل يا دكتور ؟ .

قال : نشترك فى أندية الشباب .

حاصرتنى سخرية الدكتور وضغطت على القلب

خبطت كفا بكف ، تلاطم غيظى بقهرى ، وعمرى بالضياع . واضح أن الوهن زحف إلى قلب الدكتور ربما بسبب الصغار هواة الكرة والدمينو والشعور الحليقة على شاكلة رونالدو والذين احتلوا مقاهى القرية التى فتحت أبوابها حديثا .

❖ ❖ ❖

(عامر سلامة)

لافتة نحاسية مكتوبة بخطوط حمراء .. براقة ، واضح أن هنا أحد يقوم بتلميعها كل يوم . ينظر للبيت الحجرى ذى الطابقين معجبا ببنائه الحديث . كنا لما يستبد الغيظ بنا فى المدرسة الإعدادية ، ويضربنا بيده الغليظة ، نغيظه ، بالنداء عليه كأنه فى كوكب ثان ، " يا ابن التربى" .. أو يذكرونه فى غيابه "ابن التربى راح .. ابن التربى جه "

صار عامر ابن اللحاد عامرا كأخيه بالمشاريع لو مالت كفة الزمان لنا ، ما كان على هذا الحال .. القش اعادة يطفو فوق سطح الماء .لكن طاروط انسرب ماؤها للشقوق الحامضة .
ضربت الجرس وطالت وقفتى ، نبهنى جاره إلى ميكروفون الجرس.
ضغطت يدى ، وقلت : وحيد ابن الشيخ عبده .. أود مقابلة الأستاذ عامر .
قالت : عامر فى الدكان .
لماذا لم أذهب مباشرة إلى الدكان ؟ هل خفت من رؤية أختى مرتمية بحضن الدجاج النافق أم رائحة البخور المتكاثف، تحفى البلاء ، صارت الروائح تزحم صدرى .. ربما وددت رؤيته بعيدا عن مواطن الألم .

❖ ❖ ❖

تمايل الجاموس مستمتعا بشمس الخريف الدافئة . أطلقت إحداهن خوارا ، فتلفته الأخريات ، وتخبطوا ببعضهم ،عند مربط السوق ، وفحل وحيد وسط الجاموس ، ممتلىء الظهر والبطن ، يتحلق حوله التاجر . تلك المنطقة لا تقربها بائعات البط والإوز ، يقفن على جانب الترعة ببدء السوق ، سيدات بجلابيب سوداء وملونة ، خلفهن موقف الحمير ، فى انتظار عودة أصحابها الذين ربطوهم وسط أطلال بناء طينى قديم ، دفعوا الأجرة للوجه المتأفف وانداحوا فى شعاب السوق ، وراء مطالبهم .
عينا التاجر تنظران كل حين إلى مدخل السوق فى انتظار القادم .
تبدلت أمزجة الفلاحين والفلاحات بين الطعمية الساخنة وخبز البنادر ،وبين سندوتشات الكبدة ولحمة الرأس ، يأكلون أثناء بيعهم وشرائهم على عجل ، تصرخ واحدة فى وجه رجل توقف خلفها ، ربما لامس ردفيها الممتلئين فقذفته بالشتائم وشاركتها السباب الواقفة خلفها .
انفضت كتلة الزحام الصغيرة المفاجئة لتسابا ثانية فى جسد السوق المترهل ، زخم رائحة الزيت والكبدة يزاحمان الأنوف ، يصرخ الباعة بإعلانات فجة عن بخس الأسعار ،

ويقسمون بأغلظ الأقسام للواقفات يقلبن فى الملابس الكانتوه ، وقليل منهن من تتصرف ؛ بأن البضاعة كلها "جديد فى جديد .. غسيل ولبس"

على مقربة من الجاموس المتخبط فى ازدحامه ، الذباب يحوم فوق ظهورهم ، يتطاير ويحط على لحمة الرأس العائمة فى طست من الألمونيوم ترتفع الماء إلى منتصفة ، ينادى باعة أرجل الجمال والجاموس ، لا تلتفت إليهم سوى الجلابيب السوداء الرخيصة على أجساد ممصوصة هدها التعب ، وأرادت أن تسعد بطن العيال .

تاجر المواشى بسوق الأربعاء مازال يفتش فى النازلين من عربات الداتسون المكشوفة والقادمين فوق حميرهم من بعيد ولم يحضر - للآن - القادم المنتظر من طاروط .

: غالية .

: نقسم البلد بلدين .

: لا بلدين ولا ثلاثة .

يتوقف المشترى ويتفحص عينى التاجر المشغولتين ، ثم يبادره.

: بكام اللى هناك دى ؟؟ .

:دى ؟ .

: أيوه أم قورة بيضا .

: ماتقدرش على تمنها .

ينتفض المشترى ، وتبين عليه أمارات الغيظ . يتولى عنه تاجر بلدته المقايضة . لكن التاجر يحسم البيعة .

:أم قورة بيضا اتباعت .

: بالأمانة .

: بالأمانة والشرف والله العظيم بعناها وصاحبها زمانه على وصول .

: مين ؟ ..طب بكام ..أحطلك على تمنها...

: لا زيادة ولا نقصان .. راحت لصاحب نصيبها .

❖ ❖ ❖

السلالم الصاعدة إلى المقام عالية .

والباب موارب فى وقت بين العصر والمغرب .. وقت تلملم فيه

الشمس أشعتها الذابلة ، وتهرب غاربة ، مطموسة ببحر طاروط ، كنت قادماً على مهل من محل الدجاج بمحاذاة الخليج إلى مقام المبروك ، على مهل قلت أصعد ، حذائي الكاوتش بلا اثر أو صوت .. تناهى لسمعي صوت شئ يسقط على أرضية المقام .

: مين اللى فتح الصندوق يا عامر ؟ .

: أنا .

: تسرق صندوق النذور ؟ .

: إذا كانت نذور سيدي المبروك ،يبقى مفيش خوف . أما إذا كانت ...

: كانت ايه انطق ؟ .

: نذور أم قورة مثلاً .

كظم زاهر ابن اللحاد غضبته الزائفة ،و صمت قليلاً وأنصتُ جيداً مخافة أن يتنصت أى صاعد للسلالم .. كى يقدم نذره ؛ وقف قليلا ، وراء الباب . ثم قال لأخيه عامر بتأنٍ .

: عرفت منين ؟.

: سمعت .

: سمعت ايه يا أهطل .

: لاحظ اننا فى حضرة سيدك المبروك .

أمسك زاهر أخيه من ياقة قميصه . وقال :! تكلم .. قول تقصد ايه لأقتلك .

صعدت السلالم قبل ثوانٍ ، لأسأل عن عامر

كنت أتنصنت راجيا الله ألا يمر أحد فيسألنى كالعادة بصوت عالٍ

: سمعتَ كلامك مع عطيه بيه مخمخ ليلة أول امبارح ..

لم يطق الحاج زاهرا عند هذا الحد صبرا ، فطلعت كلماته مدعومة بجدية التهديد .

" اتكلم ياعامر والا ..."

تراجع زاهر سلامة تاركاً ياقة أخيه عامر الذى أضاف : سمعتك وأنت بتقول " دا مبروك على الآخر يا عم عطية .. وحياة راس المبروكة أم قورة بيضة اللي دفناها سوا فى المقام . انت دماغك عسل " .

عندئذ لم أحتمل التوقف .
ووجدتنى وجها لوجه .
عينا لعين .
زاهر الطاروطي وأنا .
أم قورة بيضاء وعامر .
حاول زاهر جذبي من ملابسي عُنوة ليدخلنى من بين درفتي الباب ؛ تشبثت بهما .. خلصت ملابسي من بين أظافره .. تلفت ورائي ونزلت .
خطوة بعد خطوة .
أمام الحقيقة العارية.

❖ ❖ ❖

مساء الأربعاء
طرق العم عبد الله أبو متولى بابنا طرقتين ولما فتحت ، وجدتني وجها لوجه أمام أم قورة بيضاء جديدة .
قال لأبى: اشتريتها اليوم من سوق الأربعاء . قلت لنفسى ليس غيرك من يشاركنى يا شيخ عبده .
صرخت كالملسوع بسياط المقام و القورة البيضاء الجديدة : والنائمة ببطن المقام ؟؟ لا .. لا .. ياعم عبد الله .

❖ ❖ ❖

[فى ذكر المصطبة]
كانت أواخر جلسات المصطبة التى تجمع بليلة بالحاج أبو متولي – فقط – غائمة ، بلا روح ، مثل مقتل سلامة الصغير ، ابن الحاج زاهر الطاروطى ؛ الغامض والذى علقته الحكومة على شماعة القضاء والقدر .. لكن كل طاروط تشم رائحة الغدر فى موته على الطريق ، وبعد مائة متر تقريبا من "كوبرى الغربى".. صار كل شئ معد بدقة حسب سيناريو محبوك ويد ليست خفية تلعب منذ البدء على استلاب العمودية وضم الأراضى المتاخمة لها . وكل طاروطى صغير يدرك أن البحر أبدا لم يلتهم الغرابوة بقدر ما كان الكوبرى الذى أصر على بنائه العمدة الصغير ليربط بين طاروط والعزبة كترضية متعمدة للغرابوة هو القاتل الحقيقى لزينة شاب البلدة "سلامه الصغير". وعبر الكوبرى يتسحب الجفاف إلى طاروط والقرى

المجاورة حتى لبد فى تجاويف الروح .. ورويدا رويدا تذوب الملامح ؛

بعدها يموت بليلة والحاج صلاح أبو متولى بعد أقل من عامين ولا يصبح لمصطبة أبى منصور وجلساتها الدافئة وجود . وصدق بليلة حين قال فى أخريات أيامه: " خربت البلد بشبابها وبهايمها ودور الطين اندفنت واتساوت بالطين " ولم يعلق الحاج صلاح لأن موجات الحزن والمرض كانت متلاحقة عليه وخاصة بعدما تساقط الكثيرين من أقربائه ، مثل الشيخ " عبدالوالى " .. كانت النهاية تنسحب إلى الروح على مهل كانسحاب آخر ضوء للنهار ،وراء الجميزة والمقام .

❖ ❖ ❖

" يا ضنايا ..يا بنى "

.. نطقت بها واحدة من السيدات فى العزاء وهن متحلقات حول زوجة الحاج زاهر ، فى محاولة لتخفيف الفاجعة " يروح كده يا ناس فى عز شبابه " نطقت بها أخرى ، كى تتمكن أمه من الوقوع فى البكاء .. البكاء سيد المخلصين من قبضة الحزن ، لكنها لم تبك .. فقط تركت ليديها فرصة احتواء رأسها .. ونظرت إلى البعيد ربما يطل " سلامه الصغير" عليها ، فلا يجدها مثلهن قد صدقت موته .. ..

وبانفضاض صيوان العزاء عاد زاهر اللحاد إلى زوجته .. عاد وحده بدون سلامه الصغير ، فقامت إليه وقالت بذات الهدوء الذى اعتاده منها "فين سلامه يا أبو سلامه ؟؟؟!!!!! "ولما حاول وضع يديه على كتفيها .. ارتعشت كأن عقربا لمسها .. وأقسمت ألا تبيت فى بلد حملت سلامه - وحيدها - إلى المقابر وعادت ببضع كلمات لا تعنى شيئا .

فى الثانية عشرة تقريبا لم يجد الحاج زاهر بدّ من استدعاء السائق الخاص به ، وتوصيته بإيصال زوجته وأمها إلى الشقة فى مصر ..

وبعد يوم واحد عاد بها السائق وهى مرتمية فى حضن أمها فاقدة النطق وناظرة للبعيد .. بعينين غاربتين ..

لم يهزمها مشهد تشييع سلامه الصغير .. ولم تسقط لما دخلت الشقة فى مصر ، فوجدتها خاوية من كل " العفش "

والأجهزة ، إنما هزمتها حيطان الشقة الباردة وعدم قدرتها على مد يدها لسلامه الصغير ، لتنقذه من رياح طاروط الغادرة التى زجت به داخل السيارة .

أثبتت المعاينات بأن العربة مضروبة من الخلف بشدة مما يؤكد نية التعمد .

أما زاهر فمن أول وهلة كان يعلم بعين بصيرته . أنه كان المقصود ، وأنه فى ذلك اليوم كان من المفترض حسب مرسال الدكتور زكى له أن يسبقه إلى الدوار .. فى عزبة الغربى .. ليجلسا معا بحضور ضابطهم الهمام ؛ ومن المؤكد أيضا العم بعرور سوف يحضر ، داخله للحظات الهاجس القديم عندما أرسل الحاج أبوشاميه أحد "الكلافين" إليه . لكنه هز رأسه نافضا عنها حمى الماضى .. وقال لنفسه .. لا .. الآن أنا الحاج زاهر الطاروطى لى ثقلى ووزنى ؛ ولكنه من باب أخذ الحيطة واحاطة نفسه ببعض التقدير . قال أرجئ الذهاب إليهم مقدار ساعة .. ولم يسرع كما فعل منذ أكثر من عشرين عاما .

الولد تزوج من ابنة العم بعرور .. ! زواجا عرفيا ! وما المانع أليس هو جديد هذه الأيام ؟! ، واذا كان ذلك تم بدون علمهم، فهو أيضا لا يعلم .. ثم إن هذا يعد شرفا لهم ، أن يتزوج طاروطى من غرباوية .. وليس أى طاروطى ، بل هو ابن واحد من كبرائها الآن .. ورجلهم فوق كل هذا .

❖ ❖ ❖

ماتت زوجة الحاج زاهر اللحاد بعد يومين .. لتخلف له سؤالا يتسع بحجم الفراغ ، بحجم الهوة التى سوف يسقط فيها كل ليلة .. فيرى نفسه مفزعة وآمال تدمع دمعتين تحرقان قلبه ، وتشدانه أكثر إلى قيده .. لم يفق مناديا باسم زوجته الراحلة أبدا بل كان يجد شفتيه تلهجان بآمال .

... الآن صار ابن اللحاد فرع شجرة مائلة وحيدة ، تجف المياه فى عروقه وتذبل.. ليتأرجح عليه عيال البلدة ، قبل أن تمتد إليه يدٌ عظميه وتقتطعه .

إذا كان فى المرة الأولى فضل أن يحاربهم بذات سلاحهم .. وعاد رافعا رأسه وسجل اسمه بين الحجاج .. ففى هذه المرة ، من الضرورى أن يغير أسلوبه فى رد الصفعة .تلك يد ثقيلة لطمته

فعصفت به وبشمل أسرته .

ولم يجد الحاج زاهر سوى الدكتور هاشم ليمد له يد العون والمشورة ؛ كما فعل ذلك فى بلاد الأغراب .. ولم يبخل الدكتور عليه أبدا المساعدة - فما رد أحد لجأ إليه أو احتمى به - هكذا أرضعته السيدة فايزه أم هاشم .. لبن محبتها .. للحياة..

❖ ❖ ❖

الناس لا تعرف الناس وطاروط لم تعرفنى حين برزت الفأس بيدى وطلعت سلالم المقام .

ضربت بكل عزمى الباب العتيق ، فاهتز ، ولم يسقط ، أمسكنى "ابن بليلة" مهرب الجمرك والقهوجى بمقهى أبى شامية حتى تجمعت من بعيد الجلابيب البيضاء ، والعيال الصغيرة تلاحقت أمام مصطبة المقام ، وأرسل كبار طاروط لى من يعيدنى "لرشدى" .

ضربت العجائز كفا بكف وقلن : "الولد اتجن" .

ولم تنزل الفأس من بين يدى - على الرغم من دهشة السيدات وحضور جلابيب بيضاء بسراويل بيضاء و ذقون سوداء كثيفة و... كأن طاروط اجتمعت على صافرة وإنذار مزلزل . إلا عند سماع صوت جدتى الآمر وبنبرات عالية أسكتت الجميع.

: انزل يا وحيد .

و شقت جدتى الزحام ، ثم أخذتنى فى حضنها وبكت . فكفت الأيدى عن إخراج الشياطين اللاعبة بجسدى ، وتوقفت الأكمام المشمرة ، والأكف المتأهبة ، تراجعت أمام جدتى وأنا محتم بحضنها وهى ترقينى بصوت عال .

استغفرت اللحى لسيدى المبروك ، وانفض الجمع.

❖ ❖ ❖

لم أتمالك قواي ، ظل الوجوم يتملكني ، أمى تبكي طوال الليل .. لم يفارقنى الصمت إلا فى حضرة الدكتور هاشم .

تساءل بابتسامة صافية: ما سألتش نفسك ليه البلد نايمه .. وجايز تفضل نايمه زمن جاى ؟!

أجبت بضيق : أنا عمرى ما اقتنعت بمبروك ولا بغيره . لم

أمهلـه ليرد وزفـرت الكلمـات المحشـورة بصـدري : رب العبـاد موجود فى كل مكان ، ولا يحتاج إلى وسطاء .

قال : بسى موجودين .. كلنا مآمنين بوجودهم .

تساءلت بحيرة : سعادتك مقتنع بيهم .

قال : ما أنكرش وجودهم .

فاجأتنى كلمات الدكتور هاشم ، تحسست آلام ظهري .. ورأيت أكفا غليظة جاهلة تطلع السلم ، تساءلت فى حيرة : أنت يا دكتور ؟!!

قـال : أوليـاء الله موجـودين ، احنـا اتربينـا علـى الإيمـان بعـالمين، جنـة ونـار، روح وجسـد ، ثـواب وعقـاب ، والنـاس لـولا إيمانهم القوي ببركتهم ، وبالجن والنداهة والمندل والزار وكل الحكايات والخرافات القديمة .. ما كنش يبقى فيه وعى ولا تاريخ ، والذاكرة الجمعية هى اللى حافظت لنا على التراث الشعبى الجميل ..يا بنى .. لازم عـالم غيبي يرهبهم ويشحنهم ويدفعهم ..بدونه ما يبقاش لنا ملامح ، ولا روح ..تعكس تميزنا الخاص .

قاطعتـه بضيق نافـذ : وإذا كـان العـالم الغيبـى ..ح يغمـى عنيهم عن الى بيجرى ، والأمثال تطلع "يا بخت من بات مظلوم ولا باتش ظالم " .

ضحك الدكتور هاشم عاليا ، وقام ليجلس بجانبى ، ثم وضع يده على كتفى ؛ عظامى ورقبتى منذ الأمس الاستسلام للنوم ، يصلب العظام ، بحلقت فى وقفته الشامخة وابتسمت .

ولم أدرك وقتئذ ..مدى صدقه ودفئه ، وحبه العارم لطاروط .. وللنور ، لا للظلامين والجهلاء والمستكينين والخونة .

كنت فى تلك الأيـام حادا ، ينقصنى الكثير من الوعى والذى ساعدنى على وضع أسسه والنهوض ببنيانه ، هـو الـدكتور هاشـم ، كـان يمتلـك مكتبـة كـبيرة منـذ أيـام الجامعة، وضعتها الخالة أم هاشم فى السحارة ، بباطن تجويف فـى الحـائط - معد لهذا الغرض - الطينـى ، وأغلقت درفتيـه الخشب ؛فى تلك الحجرة البعيدة بآخر الدار ،ولم يدخلها أحد غيرها طوال سنوات سفره .

لم يفصح الدكتور هاشم لى فى ذلك الوقت عن تحول زاهر

الطاروطى .. وخططه ،ومشاريعه ،لإضاءة طريق وتشغيل شباب البلدة .

❖ ❖

كأن كل الناس تتاجر بعقول بعضها.

عدت خائبا من زيارتي لمستر القلش بالجريدة ؛

كنت قد سطرت خبراً ، ظننت أنه هام وساخن بعنوان (مقام البركة)

/ ترقد الآن أم قورة بيضاء جاموسة طاروط بالمقام الجديد بدلا من المزعوم سيدى المبروك/

تنحى مستر القلش عن حروفه المنمقة ، وبزغت فوق لسانه مفردات يرددها الحواة ، وبائعى الأمشاط والفلايات .

قال مدعما حججه الواهية ، متصوراً أننى تلميذ ساذج ، مازلت فوق مقعد خشبى بحجرات الدراسة : أنا المتابع - الأوحد - لأخبار الجاموسة . وصارحنى لائما : كان عليك أن تأتى لى أولا ، ومن الأجدى أن تصوغ خبراً عن عودة المبروكة إلى داركم ، تصف آلام الناس بسبب الاختفاء والانتظار ، وأفراحهم عند عودتها ، ترصد ذلك فى عيون الصغار ، وفى قلوب الكبار.. لا أن تسطر تلك الخرافات عن الحاج زاهر الطاروطى وسيدى المبروك .. أفق يا بنى ، القرن العشرين يلفظ أنفاسه والناس مازالت بقلوب خضراء ، لا تصدق إلا ما صدقه آباؤهم . اقترب من أذني وبخ سمه : الناس على دين ملوكهم .

قلت أعريه بلا موآربة وليكن ما يكون :يا " مستر ".. يمكنك أن تصوغ ما تحب ، متى تحب.."تفبرك" أخباراً عن القورة البيضاء وتروج الأكاذيب مغلفة بمسموح الزيف والبلاهة للبسطاء.. أما أنا فلا .

كان يضحك ، وكنت صادقا ولاذعا وحزينا أكثر مما أظن ؛ قلت لنفسي أثناء عودتي بالقطار و البسطاء يحوم عليهم بائعي الأمشاط والجرائد القديمة وآية الكرسي .. أمثال القلش ، طاروط لم تكن مهبط وحيهم ، أو ثأرهم كابن اللحاد ؛ قدر ما كانت نقطة الوصول ، وبدء الانطلاق ، جوهرة التملق والحزن ، فى أفواه أطفال بحجرات الدراسة ، عندما يكبرون ربما يأخذون سمت القلش ، يلهثون وراء الشهرة والمال ، يتخفون

وراء القورة البيضاء ، يصدرون مقالاتهم بصور البركة والسحر دليلاً على محاولاتهم الأبدية التقدم لأول الصفوف .. لم تكن إذن جاموسة مجردة .. بل بالونة منتفخة ، لا تنفثئ ، ما دامت الأفواه على السلم تنفخ والمدن تزدحم، بالبالونات ، لو كان لطاروط وجوداً فرداً ، جوهراً لا يقبل اليقين إلا بالشك، ما ارتقى القلش سلالم المسجد حتى استقر فوق الأعناق كجندي قديم ، يدور فى فلكهم ، كانت إذن بهجته بارتداء الجلباب مسوغاً للتباهي ولاتخاذ الصور مع أبىقردان ، وأبىفصادة ، لاختلاق الكذب الأعمى عن جاموسة ربما كانت - هى ذاتها - أكثر وعياً ونفاذاً من مسوح زيفه إلى قلوب الأهل فوق المصاطب ، وعلى جانبي خليج الطبالة وأمام مقام المبروك وأبى منصور .. تنفذ بالمندل والمسبحة وبخور "نبوي ترًا" وأحجبته ، بالمستكة وبعر الماعز .. طبقات ، فوق طبقات تتجلى خلالها القورة البيضاء بين اختفاء وظهور .. وظهور واختفاء فتصهر القلوب بالتمني، والتمسح والتدني، والتجلي .. كأن الجاموسة بيضة الحاوي وابن اللحاد والقلش وعامر والدكتور زكى يخبئونها فى جيوبهم ، ويخرجونها وقتما يحبون كي ينالوا شرف تقبيل الأيادي البيضاء ، كي تحفهم هالات البركة والثناء ، تتحوطهم النجوم الزاهرة . وكل الآحاد مثلي يجأرون تحت سياط سماعين الجمل والدجاج النافق والغثيان والرعدة القاسية.

❖ ❖ ❖

"ويجمع الشتيتين بعدما
يظنان كل الظن أن لا تلاقيا "

قابلانى
صدفة أم عمداً
عند عبور بوابة النادى ، فى طريقى للخروج.
قال عامر سلامه : أهلا يا أبا الأوحاد .
تركت لعينى محاولة اختراق ماوراء ابتسامته المزعومة.
سرت فى طريقى وسار عن يسارى . أما عادل محمدى فقد جذب ذراعى وسار عن يمينى.
ثلاثتنا فى فصل دراسى واحد ، على نفس المقعد الخشب ،

تفرقت بنا السبل ياطاروط لهذه الدرجة دروبك وعرة !!.. أمام دكان عامر ابن سلامة اللحاد تراصت ثلاث مقاعد من البلاستيك . جلس عادل على الأبيض ساحبا المسبحة ،و سألنى عامر : تشرب ايه يازعيم ؟

تمليت وجهيهما ، صار بحرهما واحد ، وعيناهما خاصمت الصفاء القديم .

أضاف عامر : مالناش زعيم غيرك .

لم أعلق .

أكمل عادل محمدى : ما تصدقش كل اللى بيتقال يا شيخ الزعامة لسه شورى .

قلت : عايزين ايه ؟

رمقنى عادل ومسح على شاربه ولحيته السوداء الكثيفة ، ثم قال : "شف يا بن الشيخ عبده ".

قلت :" تفضل يا شيخ عادل" .

تدخل عامر مقاطعا : أقول اللى عندى الأول يا شيخ .

تطلعت إلى اليهما ، بصبر نافذ ، كى تنتهى المفاضلة ويرسو عطاء الكلام على أحدهما .

قال عامر سلامة : يا سيدى قرينا جريدتك الطاروطية الجديدة .

وعجبتنا مقالتك عن مقام البركة .

كان اصطبارى عليهما فى طريقه للتبخر . ودلت عليه ابتسامتى الباهته ، تكشف نواياهم ، قلت : عادى كل الناس بتقرا .

قال الشيخ عادل : طظ فيك .. انت مفكر نفسك مين

قاطعه عامر سلامة : بهدوء يا شيخ .

قلت :من الآخر يا جماعة الخير .. أصل الحداية ما تحدفش كتاكيت .

قال عامر: شكرا يا محترم .

(تدافعت المسبحة بين أصابع الشيخ عادل ؛واستمعت بلا اهتمام)

- مش هنقولك .. تشتغل معانا فى الفراخ .

ولكن بيع لنا كل اللى كتبته عن المبروكة

- ولو حبيت تفضل فى حب الصحافة ا.. ماشى .
بسى شيل موضوع المبروكة .. والفراخ الفاسدة من دماغك .. يا أخى اتعلم من مستر القلش .
قلت : مش فاهم
عقب عادل محمدي ،بصيغة آمرة : إنت فاهم كويس إلا....
قلت : إلا ايه ؟؟
حسم عامر سلامة الصفقة الخاسرة : سيب [إلا] للظروف .
نهضت واقفاً : وعليكم السلام .

❖ ❖ ❖

"من أي البلاد أتيت ؟ وإلى أي البلاد أعود..منك يا طاروط وإليك، من حزن إلى حزن .. من سوق الأربعاء بسواد غيماته حيث نافخي الكير وصانعي الشقارف والفؤوس والقمسيونجية ، يقسمون بالله وبالطلاق على كل هام ، وتافه يتجاور تجار المواشي والبط والأوز والكبدة والكانتو .

كل شئ يباع ويشترى ، من بدء خليج الطبالة إلى هناك وبالعكس .

عظامى تطقطق تحت اللحاف الثقيل ، والنفس مائعة ، بلا قئ ، بلا أحد ، سوى الظلام يتحوطني من كل جانب . أخبط الصداع بالجدار ، برأسى ، وأسقط فى جُب بلا قرار .

رجل الجريدة المعارض يقول : وضح وجه طاروط الأسود .

أقول : كل الوجوه بيضاء بلا ملامح ، بلا شمس تصهر المتاعب والشقاء ، بلا أرض وعصافير بلا بركات ، بلا بهائم .

طاروط وجهي أنا ، نائمة وراء بحر الفراغ والبطالة واللاشئ ؛ واقعة في أحابيل اللعبة ، لعبة الكراسى والوجوه الظلامية والخفافيش تنقر هجعتها التى كانت آمنة ، كجاموسة مغماة ، ألهبتها أياد أولاد بلهاء وهى تزف نحو السواطير " ومن ده بكره بقرشين " ... من يجذب اليد الملوحة فى قرار الجب من يشتريني ويبيعني للحجاج .. أدخل شريكاً فى ترويج البيض والدجاج والموت والبيت الإسمنتي والزوجة والعيال ، بعدها يسقط وجهي أمامى بالمرآة ربما أهشم المرآة وأسوار البركة .. أسرق جاموسة الشيخ عبده — أبى— أمام استغاثات أمى وتعلق اخوتي بذيلها ، ومن ورائهم طاروط تستحلفني ألا أفعل . أخرج

السكين وسط اندهاشهم وأعزل الرقبة عن الجسد المرتعش ......

يا طاروط آلمتني كرابيج المصانع الخاصة والشركات الخاصة ودكاكين الملابس المكدسة بكل صنف . والسماسرة ، والعائدين من المصانع تقذفهم العربات على الكوبري إلى الحارات والنوم والبلادة .. من يخصخص نفسي ويختمها بخاتم القورة البيضاء ولون المقام الأبيض ويلفني بالبياض . ثم يقذفني إلى مدافن الحاج زاهر التى استطالت بدماء طاروط واتسعت على الظلام الخانق .. ماذا قدمت ؟ ولماذا سكت ألم تعلم أن الساكت على الحق .... ؟؟!!

أحرقتني بلادة التواكل والتسليم ، ومصمصة الشفاه .. إذا توقفت أم قورة بيضاء وسط داير الناحية توقف سرب البهائم والعربات الصاج المشدودة إلى حمير هزيلة وأجساد متعبة .. من يصرخ فى الزحام ، ومتى يصل الصوت ؟ هل يدق بأبيأحد ؟؟ ويضع فوق رأسى مناديل الماء البارد ، ينتزع منى حمى الرؤى ، يعيد براءة القلب إلى القلب ، وصدق الكلام إلى اللسان .. من سحبني من كتاب "نبوي ترا" .

من يعلمني حروف الهجاء الأخرى ؟

ويرفعني فوق فرس المحنة ، كي أرفرف كالعصافير ... من؟؟

❖ ❖ ❖

"مؤكد أن اختفاء زاهر أخى بأرضه الجديدة فى الشمال . هو ما دفعهم إلى طلبي .. لكن لماذا أنا ؟ لا علاقة لي بهم .. كانوا يتهامسون أمام الدكان وعند حضوري يتوقفون . هل يخافني زاهر . أم يخاف عليَّ . الغرابوة ملاعين . كل من بطاروط يعرف هذا ، لدغتهم بالموت .. لماذا أرسلوا لي ؟ ربما خلافا وقع بينهم وبين زاهر .. لم يعد الآن شيئا واضحا .. نعم .. كأن طاروط تمشي فوق رأسها ، أو برأسهم .. أولاد الحيات .. ألم أولد وقت معركة المشمش .. ملعون المشمش والبطيخ ، ماذا جنينا من ملاعيب الغرابوة وملاعيبنا على بعضنا البعض .. اختلط الحابل بالنابل ، مزارع الدجاج .بلافتات التنديد والمزارع الجديدة ، بمخلفات المصانع .. دوائر تفضى الى هوة

سحيقة .. مالك يا عامر والسياسة ؟ مالي بها صحيح .. أفق وافتح عينيك جيداً .. أخي زاهر ، صار الحاج زاهر.. وأنت ؟!! أنا أجير .. ابن اللحاد .. لن تظل الحياة كما هي .. هذا زمان المصالح .. ألم يخفى عني زاهر مقام المبروكة أم قورة بيضاء وقال عودة سيدي المبروك .. ألم يجمع النذور والدعوات .. لماذا أبعدوني ؟؟ أكانت أوامر الغرابوة ؟.. لم أكن صغيراً !! الذهاب إليهم ضروري .. رضيت أم لم أرض ، لكن يجب أن أكون حذراً ..منتهى الحذر .. لن أتكلم .. أشتري فقط وماذا أبيع إذا كان زاهر معهم ؟!! .. سنرى .."

❖ ❖ ❖

الخُص قائم ، والمدود وأم قورة بيضاء بلا رتعة ، بلا حبل حول الرقبة ، هكذا الحرية .

مازال أبي يفرك بين يديه العلف ،كأن الزمان يعود للوراء .. هل أنا الولد الذى تسلق يوماً جنينة "أم العلو" وعلي أبو إبراهيم ؟ ماذا تبقى مني ؟ أطلال دار قديمة ؟ أم أطلال أحلام ، لا تسمن فرخة .. تُرى الدكتور هاشم ارتمى بأحضان الحجاج ووفق شروطهم ؟ . بعد كل هذا العمر يا دكتور !! .. بحرك المنساب يا طاروط خادع من تحته النداهة والغرابوة . وفوقه الحواة والسائرون فوق الجبل والسائرون نياما .. قال أبى اشتغل يا ولد . كنت شارداً ، يدي فوق ضلفة العربة الصاج .. والسباخ متكوم وسطها .. والحمار يجر باتجاه القراريط التى استأجرها أبى من جدي قبل ولادتي .. ها هو جدي يرغب فى استعادة قراريطه ..

- ولا يهمك يا ولد .

هكذا قال أبى والدموع تطفر من عينيه .

❖ ❖ ❖

! يا آل طاروط الكرام

تعددت بركات الزمان وخاصة بركات القورة البيضاء ،

فترقبوا وتعاملوا وتقدموا ، ولا تهابوا خاتم البركة فوق كل جديد ،

ومن الدلائل ، تخصيص ورش النجارة والحديد والألمنيوم والدواء والسيارات الجديدة لمصلحة من يريد ويطلب الخدمة فى كل الأوقات ،

كما يُطبّق نظام التخفيض متعدد الأنظمة على كل شئ قادم عبر البحر ،والجو ،والبر .وبأى بشروط ،

كما تم تبديل الحمير بعربات الصاج . والسباخ بالسماد ، وخصص ابن اللحاد عبد الرحمن أبو شامية مكانا بمزرعتهما لإنتاج تلك الأغراض على خليج الطبالة ،

وتخصصت الأمراض والكشوف وتعددت الوسائل كالمنظار والليزر وكافة الأشعات فوق الصوتية وفوق الضوئية وفوق البنفسجية وفوق كل ما يحتمله ويتخيله البشر ذلك عهد جديد تنبأ به ولي الله الشيخ سيد أبو قورة ، وتراءى فى المنام لمن نام ورأى أولياء الله ، سيدنا المبروك ، وأبى منصور ، وأبى قردان .. ومن أراد البركة ، يتوكل بلا تأخير .

ويتعامل بلا تدبير .

ويفك الحزام .

هذا عصر التخصص والعلوم والثورة على كل سالف ، والتخلص من كل تالف .

هكذا تدور الأرض دورتها .. ويعود الزمان الأول ...!

نداءات مُشفرة على القنوات المتخصصة

❖ ❖ ❖

اخترق الدكتور هاشم دائرة الظلام بالمندرة وأيقظني بابتسامته البشوشة قائلا : استعد كي تشتغل معنا فى أرض الشمال . قلت بلوم بطئ : وأبيع نفسي لمن ؟ . انتفض الدكتور غاضبا : دعك من حماقاتك وعجلتك وتأكد أن أرضا حقيقية هناك بالشمال.. بدأت تخضر .. رمال صفراء يا مهندس الزراعة.

قلت: لصالح من ؟ الحاج زاهر ؟! أم كل الحجاج ؟! أم ناس طاروط ؟؟ قال : الحاج زاهر يحاول غسيل أمواله وأنا رجل عملي وطالما الأرض تخضر . فتلك مصلحة الجميع ..

قلت : واثق سيادتك أنها مصلحة للجميع ؟!!

أحس بسخريتي ، فأمسكنى من كتفى وهزنى بشدة .. قال : عذرك الوحيد .. تخاريف الحمى ، لتعلم أن زاهرا اعتدل حقا ؛ لذلك انتقموا بقتل ولده الصغير سلامة .. كل طاروطى يعلم مقدار سطوتهم ، لا ينطق باسمهم ، باسمهم ترتكب الحماقات والدعايات ، يتألب الأخ على أخيه والرجل على

امرأته ، يخون الولد أبيه .. هذا زمان المصالح .

تركني الدكتور هاشم ، بعدما جلدني بسياط ، الخيانة واللاعودة وتداخلت الألوان بموازين القوى الجديدة .. والقوى الكبرى ؛ ومصالح القطب الأكبر ؛ والأدنى والما فوق ، والماوراء .. قلت لنفسي اذا كان الحاج زاهر صادقا وبالفعل بدأوا فى استصلاح أرض الشمال ، ونقل الشتلات ، فدبت فى القلوب روح جديدة .

وبرز إلى السطح ، دور القوى الكبرى الممثلة فى الشركات العملاقة التى قدمت على بساط الريح لتشترى الأفدنة الصغيرة التى استصلحها شباب البلاد بعرقهم طوال أعوام سابقة .. هكذا أخبرنى المهندس نصر .. والأسى ينشع من بين كلمات ظاهرها الرضا بأنه استفاد من بيع الخمسة أفدنة ، لهم .. وفضل أن يبقى على البت فقط حتى يبيت فيه طالما قرر أن يعمل كمهندس زراعى فى ضياعهم الجديدة .. كيف ارتضى المهندس أن تدوس أقدام الغرباء على حبات عرقه التى ذابت فى الرمال ؟؟؟!!!.. وهو الآن يؤمر فيطيع ويرفت لأتفه الأسباب كامرأة ليل طردها سيدها بعدما قضى منها وتره .. آآآآآآآآآآآآآآآ ه يا طاروط من قابل أيامك ، سوف نسمع عجب العجاب .. ونعيش المحنة رغم أنوفنا .

❖ ❖ ❖

١ - عُقدت صفقة كبرى مع طاروط لتوريد السماد والخبز الجاف .

٢ - تزايد الفيضانات - ببلاد الثلج - والاشتباكات الدموية لدى وصول أول دفعة من الجاموس .

٣ - مازالت أسعار الجاموس والأبقار فى تزايد ، خاصة ببلاد الزحام البشري .

٤ - قواعد جديدة لرصد نزول الجاموس والأبقار .

(أخبار من حول العالم)

❖ ❖ ❖

نزح عدد غير قليل من عواطلية البلدة وخرجيها الجدد مع الدكتور هاشم والحاج زاهر .. كانت العربات الداتسون تنقل حاجياتهم ، كل أسبوع وتعود بالسلامات الى الأهل ..

وأخذت الكاميرا وقدمت موضوعا كبيرا للجريدة الرسمية .. لكن ما لفت نظرى هو الزحف السريع للشركات العملاقة الى أرض الشمال ، والجنوب والشرق .. سرطان يهصر الحاج زاهر ويفت فى عضد العنيد .. طمأننى الدكتور هاشم بابتسامته الحانية وقال : " خليك متفائل شوية "

بعد عام أو يزيد نبت الاخضرار ، والتقطته الكاميرا لتسجل تاريخ كل صورة فى ذيل البرواز.

ثمة قلق وبرودة كانت تزحف إليهم كل يوم .. كانوا يسمعون " عواد باع أرضه يا أولاد " فيهزهم حنين من جديد من نوعه أهى الرغبة القارة فى أعماقهم بالعودة إلى طاروط وكأنهم كانوا فى معركة خاطفة .. أثبتوا - خلالها - لأنفسهم أنهم قادرون على المستحيل ، فاطمأنوا عندئذ إلى قواهم الحربية ؛ وهاهم تتراءى لهم ضرورة أعداد الحقائب ، محملة فوق عربات النصف نقل عائدة من حيث أتت.. ولكن كيف يبيعون وهم فى البدء لا يمتلكون ؟؟!!!! .. الحاج زاهر منح كل واحد أسهما لا بأس بها وأنا قرأت بنود الشركة .. لم أكن أحلم باهتداء ابن اللحاد - أقصد الحاج زاهر - إلا عندما استوثقت من التسجيل ..هاهم وسط ريح الصحراء ينامون

والبرودة تحتملها العظام . لكن عواصف أمشير لا يتوقعها أحد

كان من الضرورى جدا أن يأخذوا حيطتهم .

كتبت ذلك فيما بعد .

عن حادثة تلك الليلة القاسية من ليال أمشير؛

كتبت الواقعة وعرضتها بالتفاصيل ودعمتها بالصور السابقة .لكن رئيس التحرير أعاد صياغته بنفسه وعنونه بحادث فى الطريق الصحرواى

كأنه حادث عابر

[[مقتل الدكتور هاشم ورجل الأعمال زاهر الطاروطى فى ظروف غامضة بالصحراء الشمالية.. ولم تزل التحريات قائمة للوقوف على لغز مقتلهما...]]

جمل مبتسرة.. باردة .. أشد برودة وعنف من فعل القتل نفسه.

جمعت زميلتى بعض أوراقى التى مزقتها بعد العودة ، من مكتب رئيس التحرير صبيحة نزول الخبر

فى طرقى لمغادرة المكتب .

لحقت بى زميلة ثانية وأعطتنى بقايا ما تبقى من الورق .

قرأت

.((.......... ولم يرغبا فى كشف اللثام عن وجوههم ..تلك أياد حديدية تخترق الملابس والنسائم والليل وضوء القمر ، تدوس الأعواد الخضراء بأرض الشمال .

تعطب ثمرة العلاقة الجديدة ؛ فيبرد دفء الكلام فوق المصاطب . وتنام الوجوه المتعبة أشد ألماً .. من ذى قبل ..ترى فى نومها ثمار الشمال تتهاوى فوق رؤوسها ، ثمار نارية ، حارقة .

تلك الأيادي تقذف بالحاج زاهر جانباً وترتفع العصى وتطقطق عظام ابن اللحاد خلال ليل بلا صوت ، بلا أحد ..

الآن .. يحاول الدكتور هاشم التحكم فى بنطاله ، لكن الأيدى المدربة !!! تمتد مخالبها بتوتر نحو أماكن حساسة .. وعلى مقربة منه يتجمد الدم الذى نزف من خصيتيه .. تهتز الأنفاس فى صدره وتتجمد فوق عينيه اندهاشة. كتلك التى رأيتها فى عينيه ذات مساء؛ وهو يحدثنى عن ضياعه وسط الرمال ولا أحد يبل ظمأه ، أو يدله على طريق .

أثناء معركة المشمش .))

تمت

العربى عبدالوهاب
الزقازيق / ٢٠٠٣

الكاتب

العربى عبدالوهاب

(عضو اتحاد الكتاب)

❖ صدر له: عزّاف النار (قصص) ١٩٩٨

❖ أربع نخلات (قصص) ٢٠٠٠

❖ لأنهم يموتون فى الربيع (رواية) ٢٠٠٠

نشرت بجريدة الجمهورية على حلقات صيف ٢٠٠٠

* مجموعة قراءات نقدية فى القصة القصيرة والرواية والشعر وقدمت كأوراق بحثية فى مؤتمرات (الشرقية الأدبى ، ودمياط ،وكلية لآداب ، ومؤتمر اتحاد الكتاب)

❖ الجوائز

❖ جائزة الرواية فى المسابقة المركزية لهيئة قصور الثقافة عام ٢٠٠٠

❖ جائزة مجلة النصر (القوات المسلحة) فى الدراسات النقدية

E mail :beheery٢٠٠١@yahoo.com

رقم الإيداع بدار الكتب
١٠٤٧٣ / ٢٠٠٧
الترقيم الدولى I.S.B.N
977-374-301-2

ار الإسلام للطباعة والنشر
٢٢٦٦٢٢٠ / ٠٥٠
٠١٢٢٦١٤٣٦٣